



حسن كاكي

**الإمبراطورية الميديّة الكورديّة
البداية والنهاية**

دراسة تاريخية

لدى اقتفاء أثر الأقوام الذين يعرفون اليوم بأسم الكورد في أعماق الزمن حيث لعبوا ، وتحت أسماء مختلفة دوراً مهماً في تأريخ جنوب غربي آسيا ، وبلاد الرافدين على الأقل منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، والذين جاء ذكرهم لأول مرة في الكتابات السومرية ، وفي السجلات الاشورية ، ونجد مآثرهم في سجلات أخرى ، وفي العديد من كتابات المؤرخين بمن فيهم (زنيفون) وهيرودس ، وسترابو (دبليو جي الفنستون) وغيرهم ، تجد وطنهم كوردستان كان الموطن الأول للسلالة البشرية الثانية (بعد فناء السلالة البشرية الأولى بالطوفان) كما ورد في القرآن الكريم (ورست على الجودي) ١ ، وفي الكتاب المقدس حيث يذكر (مات الآخرون كلهم في الفيضان ، والحياة على الأرض ، وفدت من جديد مع نوح ، وعائلته . بدأ التاريخ كما نعرف في جبال كوردستان) ٢ ، ومن أرضهم كوردستان أنتشرت البشرية الى جهات اخرى من العالم حسب الحادثات التاريخية ، فرحل عنها من رحل ، ومن بقي منهم في سلسلة جبال (زاغروس) وكوردستان الحالية هم نواة أصل الشعب الكوردي ، ونظراً لبعض المناسبات ، والمشابهاة اللغوية نجد معظم الدراسات التاريخية الموضوعية تربط أصلهم بالشعوب القديمة التي تواجدت في جبال زاكروس مثل (اللويين ، والكوتيين ، والميتانيين ، والكيشيين ، والعيلاميين ، ونايري ، وخالدي ، وسوبارتو) سكان جبال زاكروس الأوائل الأصليين ، والذين أندمجوا جميعاً مع الميديين من الشعوب (الهندو - أوربية) المهاجرة الى كوردستان ليشكلوا جميعاً شعباً آرياً واحداً عرفوا بالكورد ، وقد أبدوا نشاطاً سياسياً كبيراً في عهد كل من السومريين ، والبابليين ، والأكديين ، وفي أوائل عهد الآشوريين .

كما تعد الإمبراطورية الميديّة الكوردية (التي تأسست عام ٦١٢ ق . م بعد استيلائهم على نينوى عاصمة الإمبراطورية الآشورية) ، من إحدى الإمبراطوريات العظمى في التاريخ القديم التي أقيمت على أرض كوردستان ، ولعبت دوراً كبيراً في نشوء الحضارة الإنسانية بصورة عامة في المنطقة التي كانت تعرف قديماً لدى اليونانيين باسم موزوبوتاميا التي أطلقت على الأراضي الواقعة بين نهري دجلة ، والفرات هذه البقعة التي تعتبر صغيرة بالمقارنة مع الأراضي التي شملتها الإمبراطورية الميديّة ، أو الأراضي التي يطلق عليها اسم كوردستان منذ اليوم الأول من إطلاق التسمية عليها.

كتابنا هذا يتناول كيفية نشوء الأمبراطورية الميديية ، ومن ثم سقوطها في ثلاثة فصول ، يتناول الفصل الأول ، عصر الحكومات ، والأمبراطوريات الكوردية قبل الميلاد ، والفصل الثاني الميديون ، والفصل الثالث بدايات سقوط الأمبراطورية .
مهما حاولنا من جهد سيكون كتابنا هذا ناقصاً لأن الميدييون لم يخلفوا لنا كتابات تذكر للأعتماد عليها ، ناهيك عن قلة المصادر حول الموضوع نرجوا ان نكون قد وفقنا في هذا البحث ، وننال رضا بعض القراء

ومن الله التوفيق

حسن كاكي

١ – القرآن الكريم ، هود الاية ٩
٢ – الكتاب المقدس

الفصل الأول

عصر الحكومات ، والأمبراطوريات قبل الميلاد :

كان بلاد وادي الرافدين ، ومصر يعيشان عصور ما قبل التاريخ حتى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد ، وهما أصل ، ومنبع الحضارات ، والأمبراطوريات ، والحكومات التي ظهرت في هذه المنطقة ، وهم من علم الأنسانية استخدام النار ، وصناعة الأسلحة ، والزراعة ، وتدجين الحيوان ، والبناء ، والتعدين ، وأختراع العجلة ، والفخار ، والنسيج ، وأبتكار اللغة التي ساعدته على التفاهم مع الآخرين من بني جنسه ، وأنتظمت كجماعات للحصول على طعام أفضل ، ودفاع أقوى ضد خطر مشترك ، كما ساعدته بعد أختراع الكتابة على نقل خبراته ، وتجاربه الى أولاده ، وأحفاده ، وتناقلت الأجيال هذه الخبرات ، والتجارب ، وتطورت بمرور الزمن ، حتى بلغت اقصى مراحلها المعقدة ، والراقية ، بالاضافة الى هذه الأكتشافات ، والأختراعات أستطاع الإنسان أن يتلائم مع البيئة ، ويتكيف مع ظروفها المتغيرة (١) . أما شمال أفريقيا فقد عاشت في عصور ما قبل التاريخ الى مطلع الألف الأول قبل الميلاد ، واليونان عاشت فيه الى القرن الثامن قبل الميلاد ، وشمال أوربا كان في ظلام حتى القرن الأول قبل الميلاد ، ومعظم العالم الجديد عاشت فيه الى القرن الخامس بعد الميلاد .

ذكر الكوتيون مراراً في السجلات الحربية الاشورية (٢٠٠٠ ق.م) ويروي تاريخ كامبردج القديم ان الملك اللوي الكوتي (لاسيراب) كان معاصراً لسرجون الأول في حدود (٣٨٠٠ ق.م) ، وهذا يبين أن أقدم ذكر لأجداد الكورد ورد قبل أكثر من ٥٨٠٠ سنة ، وعند العودة لدراسة الآثار ، والمؤلفات الشهيرة للعلماء ، والباحثين في عاديات ميديا ، وأيران ، وبلاد الرافدين ، وآسيا الصغرى ، وغيرها من مناطق ، نجد ظهور حكومات ، وأمبراطوريات عظيمة في هذه المنطقة ، وأمتدت الى مناطق أخرى من الشرق الأنى ، سيطرت هذه الحكومات ، وعلى فترات متعاقبة من التاريخ قبل الميلاد على جزء ، او عموم هذه المنطقة ، وبالتعاقب ، مثل : السومرية ، والبابلية ، والآشورية ، والأكدية ، والحيثية ، والمصرية ، واللوية ، والكوتية ، والميتانية ، والعيلامية ، والكيشية (الكاسية) ، والنايرية ، والميدية ، والأخمينية ، ونلاحظ سبعة من هذه الحكومات كانت كوردية ، وهي (اللوية ، الكوتية ، والميتانية ، والعيلامية ، والكيشية ، والنايرية ، والميدية) بالاضافة الى السومريين الذين يعتقد بأن جذورهم كوردية ، ناهيك عن الأخمينية هي أيضاً من السلالة العيلامية الكوردية .

وعندما كانت هناك أربعة أمبراطوريات عظيمة تحكم العالم كله قبل الميلاد مثل : (المصرية ، والحيثية ، والميتانية ، (الكيشية - كوردنياش)) كان أثنان منها كوردية (الميتانية ، والكيشية)

، وكانت أحياناً تحكم المنطقة إمبراطوريتان كورديتان معاً مثل الميتانية في الشمال الغربي من الشرق الأدنى ، والعلامية في الجنوب الشرقي ، والغربي .

اول ظهور لأسم الكورد :

يعتقد الدكتور فوزى رشيد في كتابه (أبي سين) ٢ وأبي سين هو آخر ملك للسومريين بعد ان قضى عليه العلاميين ، ان اسم الكورد ظهر لأول مرة في عهد هذا الملك ، وهو (كردا) ، وكان اسماً لمنطقة قريبة من كرمانشاه على عكس ما تصوره سابقاً علماء آثار من انها كانت تقع في جنوب غرب بحيرة وان ، وقد ذكر اسم (كردا – karda) في نص مسماري عبارة عن أمر صادر من ابي سين بتعيين (ايرننا) حاكماً على منطقة (سو) ، ومنطقة (كردا) ٣ .

نبذة عن الأمبراطوريات ، والحكومات الكوردية قبل الميلاد

١ - العيلاميون :

ظهر الكورد لأول مرة على المسرح السياسي ، كأمبراطورية عظيمة في القرن الواحد ، والأربعون بأسم العيلاميين(٤) في منطقة عربستان الحالية ، ويعتقد بعض العلماء بأن العيلاميين هم من سكان المنطقة الجبلية في شيروان ، وأذربيجان ، ومنها أنتشروا في كل اتجاه في غرب بلاد الأناضول ، وأسسوا مملكة عظيمة سميت بالمملكة الميتانة (الخورية) ، ثم هاجروا الى السهول الجنوبية من إيران ، وأسسوا هناك أمبراطورية عظيمة ، وكبيرة تحت أسم الأمبراطورية العيلامية ، وأتخذت من مدينة شوش (شوشم) عاصمة لها .

كانت حدود الأمبراطورية العيلامية مترامية الأطراف تبدأ من أصفهان شرقاً ، وضاف نهر دجلة غرباً ، والخليج جنوباً ، والطريق الموصل بين بابل ، وهمدان شمالاً ، وذلك في حدود (٤٠٠٠ ق.م) ، كما كانت الأمبراطورية العيلامية تتكون من أربع ولايات : هي (ولاية مرعش ، ولاية آوان ، ولاية سمشكي ، ولاية أتراق أو (أنشان) ، فضلاً عن العاصمة سوزا او (شوش - ششتار) ، وكان قسمها الشرقي عبارة عن سلسلة من الجبال ، أما قسمها الغربي فكان عبارة عن سهول تتخللها ثلاثة أنهار هي (نهر الكارون ، نهر زلة ، نهر أزلاي (الكرخة) .

كما أن مدينة الشوش القديمة - كانت فيما مضى مركز أقليم يسميه اليهود اليهود بلاد عيلام أي الأرض المرتفعة ، أو العالية ، وقد وجد العلماء الفرنسيون في هذا الاقليم منذ جيل مضى آثاراً بشرية يرجع عهدها الى عشرين ألف سنة ق.م ، كما وجدوا شواهد تدل على قيام ثقافة راقية يرجع عهدها الى عام ٤٥٠٠ ق . م .

سيطر العيلاميون على بلاد سومر ، وبابل ، ثم دارت عليهم الدائرة ، فاستولت عليهم هاتان الدولتان الواحدة بعد الاخرى ، بعد ان سيطرت عليها الفتن الداخلية ، وأنهكتها مما سهل على الجيش الأشوري دخولها ، وتدمير مدنها ، وفتح عاصمتها ، وكانت بذلك نهاية مملكة عيلام .

أول سلالة حكمت بلاد عيلام هي سلالة آفان (٢٣٠٦ - ٢٥٠٠ ق.م) وآخر حاكم فيها هو كورش الكبير الذي حول أسمها من الأمبراطورية العيلامية الى الأمبراطورية الأخمينية بعد أستيلانه على ميديا ثم من فارس وبضمنها العاصمة شوش .

٢- للولو أو (لولوبوم) :

ظهر الكورد كمملكة على المسرح السياسي بأسم (للولو) ه ، في القرن الواحد ، والثلاثين ق م ، وبينما كان السومريين يسيطرون على المناطق الجنوبية من العراق ، والأكديين على المناطق الغربية منها ، كان اللويين يسيطرون على المناطق الشمالية منها لغاية مدينة أربخا كركوك الحالية ، بالإضافة الى ايران ، ومنطقة حلوان في سوريا الحالية ، وقطن هذا الشعب في البداية في منطقة (زهاو ، شهرزور ، السليمانية الحالية) ، وأن الآثار المكتشفة في جهات (كركوك) وبعض وثائق اخرى ٦ تشتمل على معلومات شائعة عن هذا الشعب ، ويستدل من بعض المشابهات ، والدلالات اللغوية أن بعضاً من الحكام ، والملوك اللولوي كانوا من الهوريين ، والعيلاميين .

في أوائل القرن الثالث عشر (ق.م) ظهر اتصال الجيوش الأشورية بالشعب اللولوي ، وبفضل هذا الاتصال ، تشتمل الآثار ، والوثائق الأشورية على كثير من المعلومات عن هذا الشعب ، وعن لغتهم ، ويقول المستشرق (هوزينغ) الذي درس الأعلام اللولوية ، أن لغة هذا الشعب كانت من نوع اللغة العيلامية ، ومع ذلك فأن هناك بعض من المشابهات اللفظية بين لغة هذا الشعب ، والشعب الهوري ، وكانت تستهل الأبجدية (السومرية - الأكادية) لاتصالهم بالشعب (السومري - الأكادي) في كتابة لغتهم الخاصة ، كما يؤخذ من الوثائق الأشورية المختلفة في عهد الملك (آشور ناصر بال) الثاني ان بلاد اللولو كانت على جانب عظيم من العراقة ، والحضارة ، كما أن أهاليها كانوا متقدمين جداً في الصناعات ، والفنون ، وكان يستعين بهم الأشوريون في بناء حضارتهم .

يقول البرفسور (سبايرز) ٧ أن هؤلاء اللولويين هم أجداد ، وأباء الشعب اللوري الحالي ، ويؤخذ من لوحة أثرية مكتشفة في جهة (زهاو) يرجع تاريخها الى عهد ملك اللولو ، والكوتي لاسيراب سنة (٣٨٠٠ ق.م) في عهد الملك الاكدي سرجون ، كما يقول الدكتور (سبايرز) أنه يظهر أن بعضاً من الحكام الأشوريين في القرن التاسع عشر ، والثامن عشر قبل الميلاد كانوا من اللولوين ، وأنه من المحتمل أن قسماً من هذا الشعب كان يعيش في (سورية) كيف وصل الى (سورية) هذا ما لانعرفه ، ويؤخذ من لوحة أثرية أكتشفت في مضيق (كاور) يرجع تاريخها الى عهد (نارام - سين) ملك (أكاد) ، أن الجيش الأكادي أغار بقيادة هذا الملك على بلاد (لولو) وأستولى عليها ، وتفاصيل تلك الأغارة مبينة في تلك اللوحة الأثرية المكتوبة ، وفي عهد (نارام سين) هذا كان الجيش اللولوي - الكوتي قد غلب الجيش الأكادي ، وأزال حكومتهم عن الوجود ، وبفضل هذه الغلبة ، والأنتصار تحررت بلاد (اللولو) من نير الأكديين ، واستقلت أستقلالاً تاماً .

لكن بعد أنقضاء عهد الملك (نارام - سين) قلما نرى ذكر للشعب (اللولوي) ويبدو أنهم أندمجوا مع شعوب (كوتي، كاساي، وسوبارو) الكوردية .

كما ان الروايات ، والوثائق الآشورية لا تذكرهم منفردين قط ، بل تذكرهم بالشعب الكوتي - اللولوي لكننا نرى بعد فترة طويلة تقرب من الفي سنة ، كتب أن ملوك آشور أمثال (تيجلان بلسر) و (أداد نيراري) و (توكوتوي- فينورتا) حاربوا الشعب اللولوي محاربات عديدة في المدة (٨٨٤ - ٨٨٠ ق.م)

يؤخذ من الخرائط التاريخية القديمة^(٨) ، ومن بعض المعلومات المستنبطة من المكتشفات الأثرية ، أن حدود بلاد للولو كان شمالها بلاد (زاموا) ومنطقة (ناري) وفي شرقها نواحي (سومي) و (هاشمار) و (هارهار) و (هالمان - ناومان) وفي داخلها ، ووسطها نواحي (لارا) و (سيماش) و (كيماش) وفي الجنوب مقاطعتا (باراهس) و (توكريش) العيلاميتين ، وفي غربها بلاد (أرافا- أرايخا) أعني (كركوك) الحالية ، ومن مدنها الشهيرة : بابيت ، داغار ، بارا ، كاكري ، زيمري ، هودون ، ميسو ، آريرو ، أو (كيينا - جبل زركاري) ، نيكديم ، (نيكدي ويظهر أن (رادفو) و (ادير) من ضمنها أيضا (أيرا) ، سيمافي ، (أزيروا - آزمر) ، كولار ، لالار ، سواني ، نيشمي ، (جبل هورمان الحالي)

٣ - الكوتيون : (كوتي ، جوتي ، جودي ، كوردي) :

ظهر هذا الشعب الكوردي كأمبراطورية ، على المسرح السياسي في القرن التاسع ، والعشرين بأسم الكوتيين(٩) ، وهم شعب من شعوب جبال زاكروس الكبرى ، وجبال زاغروس تقع جنوب غربي إيران ، وتمتد من فارس ، وشيراز جنوباً ، وحتى كرمنشاه ، وهمدان شمالاً ، وجبال طوروس جنوب تركيا ، وتمتد من قيصرية ، ونهري سيحان ، وجيحان شرقاً ، وحتى انطاليا غرباً ، وبين زاغروس شرقاً ، وطوروس غرباً تقع سلسلة جبال كردستان شمال غرب إيران ، وشمال العراق .

يعتقد بعض المستشرقين أن هذا الشعب القديم الذي كان يشغل منطقة كبيرة في جبال زاكروس هو الأصل الأول للأمة الكوردية الحالية ، وكان له حكومة مستقلة ، وأستولى على بلاد سومر ، وأكد في عام (٢٦٤٩ ق.م) ، ودام حكمهم ١٢٥ سنة ، وأربعين يوماً ، وقد تم ذكرهم مراراً في السجلات الحربية الأشورية (٢٠٠٠ ق.م) وما بعدها ، وكان الكوتيون آنذاك شعباً قوياً ، وكانت شهرتهم قد أنتشرت بشكل واسع بين الشعوب القديمة المعاصرة لهم ، وكانت (كردستان الحالية) هي الموطن الأصلي للكوتيين ، وقد أتخذ الكوتيون في التاريخ القديم أسماء عديدة فقد أسماهم السومريون كاردাকা (Kar-Da-Ka) ، وأطلق عليهم (ثكلات بلاسر) في حدود (١٠٠٠ ق.م) أسم كورتي (kurtie) .

أكد البروفيسور (سبايرز) ١٠ : (أنه يستدل من الأعلام التاريخية السومرية ، أن العناصر الكوتية ، كانت موجودة ببلاد سومر قبل أن تشكل الحكومات بها بزمن ليس بالقصير ، وأن هذه العناصر التي أصبحت فيما بعد ذات حول ، وطول في تلك البلاد ، قد أغارت أخيراً على بلاد آكاد ، وتمكنت في أواسط القرن السابع ، والعشرين ق.م من احتلالها كلها) .

أسس الكوتيون سلطة مركزية عاصمتها (أرابخا) أو (عرفة) التي هي في موقع كركوك الحالية(١١) سميت بمملكة (كوتيام) والتي تعني أرض المحاربين ، ويظهر أن الكوتيون تركوا عاصمتهم في (أرابخا) وحكموا بلاد أكد ، وسومر كمستعمرة(١٢) كما أن ملوك (لكش) الأقوياء اضطروا للخضوع الى هؤلاء الكوتيون .يقول الأستاذ (سبايرز) أن مشابهة الأسماء ، والأعلام تدل على أن العنصر الكوتي دخل بلاد (سومر) في عهد الحكومات القديمة جداً ، كما أستولوا على بلاد (أكد) ، حيث قام بالحكم فيها خمسة من الحكام (الكوتيين) مدة عشرين سنة(١٣) ، يؤخذ من كشف بأسماء الملوك في كتاب (تاريخ الشرق الأدنى القديم) أن أول ملك معروف لهذا الشعب هو (آنا توم) وكان ملكاً على (رغاش) في القرن الواحد ، والثلاثين قبل الميلاد ، وورد في الكشف المذكور أيضاً أسم (لوكال زاكيس) الكوتي الذي كان في القرن التاسع ، والعشرين قبل الميلاد ملكاً على (أرابخا) وبلاد سومر ، ومن الملوك الكوتيين أيضاً الملك (أنتوبانيني) فاتح (هالمان) الذي كان قبل عهد الملك (سارغون) الأكدي ، وفي عهد (شاركان - شاري) ملك (آكاد) .

يؤكد (سبايرز) بأن آخر ملك (كوتي) (باكاد) كان يدعى (تيريكان) وكان الموطن الرئيسي لهذا الشعب يقع آنذاك بين الجبال الممتدة بين الزاب الصغير ، وجبال السليمانية ، وجبل (الجودي) الذي رست عليه سفينة نوح (ع) بعد أنتهاء الطوفان .

كانت النصوص الأكديّة تشير الى بعض ملوكهم ، وكانوا يقبلونهم تارة بأسم الملك القوي ، وأخرى بأسم (تين الجبل) ١٤ ، ويربط العديد من العلماء ، والمختصين بين أصل الأمة الكوردية ، والكوتيين منهم (بروتيرو) ١٥ و(ارشاك سافرستيان) ١٦ و(المرحوم أحمد سوسة) ١٧ ، وغيرها كما أشار (مينورسكي) ١٨ المحقق في أصل الكورد من خلال مقارنته لأسماء الشعوب القديمة ، وأرتباطها بسكان كوردستان الى أستنتاج لايعارضه أي أستنتاج آخر في قوته ، إذا قال : (أن الكورد الحاليين هم بلا شك أستمرار ، وتطور لاولئك الكوتيين) ، ثم أنقراضت حكومة الكوتيين هذه على يد (أتور هيكال) السومري الذي كان ملكا على (أور- أوروك) ، بعدها أنسحبت العشائر الكوتية الى وطنها القديم في جبال زاغروس ، وأندمجت في عشائر اللولو .

٤ - الكيشيون (الكاسيون) :

ثم ظهر الكورد على المسرح السياسي كأمبراطورية عظيمة في القرن الثامن عشر بأسم الكيشيون (الكاسيون) ١٩ ، وهم قوم من اقوام (زاغروس) ومن السكان الأصليين لهذه المنطقة ، وأنهم أستوطنوا بادئ الامر منطقة (كرماشان- كرمانشاه) (قرمسين) ، وغرب ، وجنوب بحر قزوين ، وأطراف همدان ، وجنوب لورستان ، وأنهم أحتلوا تلك المنطقة حتى شمال خوزستان الحالية ، ثم اخذوا يتوجهون نحو الشرق بلاد (بابل) في الضفة اليسرى لنهر دجلة ، وطفقوا يعملون بالفلاحة ، والزراعة ، والفنون والأعمال الأخرى .

كان الاكديون يطلقون عليهم أسم (كاشو) وهم الذين عرفهم الكتاب المقدس بأسم (الكوش) (كما أطلقوا عليهم تسمية كاشان أو (كار كاشن) كما أطلق الكاشيون أسم (أكاسيان) على مدينة همدان ، والأشوريين أطلقوا عليها أسم (كار كاشن) أو مدينة كاسيان على الكيشيين ، ومدينتهم همدان .

قام الشعب الكيشي ، وبمعاوضة العشائر ، والشعوب التي تمت بالنسب لهم مثل (الكوتي ، واللولو ، وغيرهم) بغارة شعواء على بلاد بابل عن طريق (دشت زهاب) ، وشمال محافظة (أيلام الحالية) ، تحت قيادة زعيمهم (غانديش) وتمكنوا من الاستيلاء عليها نهائياً في سنة (١٧٦٠ ق.م) ، وعلى راي الدكتور سبايزر كان ذلك في سنة (١٧٤٦ ق.م) أسسوا في بلاد سومر ، وأكد حكومة قوية كانت تدعى (كاردونياش) عاشت زهاء ستة قرون من (١٧٤٦ لغاية ١١٧١) ٢٠ في تلك البلاد التي لم تعش فيها قط حكومة من الحكومات مثل هذه المدة ، وقد عادت العشائر الكاسية بعد زوال حكومتها هذه الى جبال زاغروس (لورستان) الحالية . فامتد سلطانهم لأكبر رقعة من البلاد التي حكمها الملك (حمورابي) الشهير ، كما تمكن الكيشيون من أحتلال شبة جزيرة سيناء ، وفلسطين ، والأردن ، وأصبحوا على مقربة من مصر ، كما بسطوا سيطرتهم على كوردستان الحالية ، والتي كانت تمتد من بحيرة أورمية ، وأذربيجان الغربية حتى جنوب بحيرة (وان) وأجزاء من طهران الى نواحي من عيلام ، واشتبكوا مع الحيثيين في القتال فكسروهم شر كسرة ، وعادت العشائر الكيشية بعد سقوط حكومتهم الى جبال (زاغروس) مثل الكوتيين تماماً .

خلاصة القول ان هذا الشعب بهذا الأسم فقط كان موجوداً حتى الميلاد ، وما بعدها ايضاً في بلاد لورستان ثم ضاع هذا الأسم تدريجياً ، وحل محله أسم (العشائر اللورية) وفي الواقع انه لا يوجد بين لفظ (كيشي - كاساي) ولفظ (لر) اي مشابهة لفظية ، بل ان لفظ (لر-لور) حسبما يذهب اليه الأستاذ (سبايزر) قريبة من لفظ اللولو ، وعلى هذا ليس من البعيد ان لفظ (لر-لور) كان يطلق في بادئ الامر على فرع من الشعب الكيشي ثم صار يطلق على جميع الشعب المذكور .

٥ - (ميتاني Mutiny)

ظهر الكورد كأمبراطورية على المسرح السياسي في القرن السادس عشر بأسم الميتانيين (٢١) ، ويعتبر هذا الشعب فرعاً من الشعب الكاسي ، ويقول السير كينغ ٢٢ أنه شعب آري .

ذكر الأسم في الأصل بصيغة (مايتيني) وهي لفظة (هندية-أوربية) بجانب تسمية محلية بصيغة (هاني كالبات ، او هالي كالبات) التي ذكرت في لوحات كركوك (نوزي) وهناك وثائق أخرى اكتشفت من جهة (بوغازكوي) أيضاً ، وكانت البلاد الميتانية مشهورة ايضاً ببلاد (سوباري) ، وقد اكتشفت في منطقة كركوك الحالية آلاف الوثائق السوبارية ، والميتانية . يقول المستشرق (جنسن) ٢٣ ، ان لفظ (ميتاني) كان لقباً خاصاً بالأسرة المالكة فقط ، وأما الأسم الدال على هذا الشعب فكان لفظ (سوباري) كما أن بلادهم كانت تدعى باسم (خاني كالبات) وهذا التفسير ، والتأويل يتفق ، ونصوص الآثار المكتشفة ، ولكن ماورد في كتاب شعوب ما بين النهرين ٢٤ ، حيث يقول ان الميتانيين فرع من شعب (سوبارو - سوبارتو) ، تأسست دولة ميتاني ، وتالق نجمها ثم توسعت ، واشتهرت كامبراطورية فيما بين عام ١٥٠٠ - ١٣٦٠ ق.م ، ووصل حدودها في فترة أوج عظمتها من سهول كركوك (أرابخا القديمة) جنوباً ، ومرتفعات جبال زاكروس الى البحر المتوسط في الغرب ، ووقع قلبها في منطقة الخابور حيث أنشأت فيها عاصمتها (واشوكاني) ٢٥ . يرى الدكتور انطوان مونوكارت بان الحدود الجنوبية للنفوذ الميتاني قد امتدت حتى وصلت الاراضي السهلية البابلية ٢٦ ، وكانت حكومة الميتانيين على جانب عظيم من القوة ، والنفوذ ، وأستمر حيناً من الدهر ، إذ كان سلطانها يتناول بلاد (سورية) و (عمورية) وقسماً من بلاد كوردستان لغاية (أربخا - كركوك) وجميع بلاد آشور ، وأسسوا فيها حكومة قوية حوالي القرن السادس عشر (ق.م) وكانت منازل هذا الشعب في منطقة (الموصل) الحكومة التي عاصمتها (واشبوكاني) وهي كانت إحدى الحكومات الأربعة الكبيرة في ذلك الوقت ، وهي (المصريين ، الحيثيون ، الكيشيون ، الميتانيين) ويؤخذ من الاوراق المكتشفة في (أرمان) انه كان هناك بعض الصلات بين الميتانيين ، وبين الحكومة المصرية المعاصرة لهم ، وقد أكتشفت وثيقة من وثائق ملكهم مكتوبة باللغة الميتانية في ستمائة سطر ، في حين المعروف ان لغة السياسة العامة حينئذ كانت اللغة السومرية فقط ، ويقول المستشرق (بورك) ان لغة تلك الوثيقة من فصيلة اللغات القوقازية .

بناءً على قول جورج روفان اول ملك ميتاني نعرفه هو (باراتانا paratarna) (حوالي ٤٨٠ ق.م) ويسميه انطوان مورتيكارت (شوتارنا الاول) الذي يرد أسمه في مدونه تمثال أدريمي ملك الآخ الذي يشير اليه باعتباره سيده ، ويرد ذكره ايضاً في رقيم (تابلو) عشر

عليه في (نوزى) ٢٧ قرب كركوك ، كما عثر ايضاً على خاتم كان الملك (شاوشاتتار) قد ذيل به الوثائق المكتوبه ، وأصبح هذا الملك ، واحداً من أولئك الذين تزعموا القوى العظمى الخمسة في غرب آسيا .

من بين هؤلاء الملوك الخمسه عشر من الميتانيين ، خلف فقط كل من شاوشتتار (ساوساداتتار) أخباراً مسجلة (عام ١٤٨٠ ق.م) حيث جعل من نفسه سيداً على القصر الاشوري ، وبلاطهم في الوقت الذي لم يكن ملوك اشور في الواقع من (آشورابي حتى آشور ناديناهي) أكثر من ملوك أسميين تابعين للميتانيين ، وكما يؤكد سبايزر(٢٨) (بأن آشور ظلت تحت سيطرة جيرانها ، وخاصةً الميتانية الى أواسط الألف الثاني قبل الميلاد انقرضت حكومة الميتانيين في عهد سلطنة (آشورناصربال) حين آستولى الآشوريين على بلادهم شيئاً فشيئاً الى أن زالت من الوجود .

٦- (نايري – نيري-Nary)

ظهر الكورد بهذا الأسم كمملكة في القرن العاشر (٢٩) ، وكان هذا الشعب على جانب عظيم من الشجاعة ، والكثرة ، والقوة حيث أتيح لهم تمثيل جميع شعوب كوردستان ، وأدماجها فيه أذ حلو محل السوباريين ، ونابوا عنهم في كل شيء ، ومن دواعي الأسف الشديد أنه ليس لدينا معلومات وافية عن هذا الشعب الخطير ، لكننا نعرف ان ملك آشور (تيجلات بلاسر) الأول حارب جيوش ثلاثة ، وعشرين ملكاً من ملوك نايري ، ومعهم بعض من حلفائهم من الملوك الآخرين في هضبة (ملاذ كرد) حروباً طاحنة ، وكانت معارك دموية هائلة مما أدى الى اقامة الملك الآشوري نصباً عظيماً في نواحي منابع (دجلة) سجل به ظفره الباهر نقشاً مع تفاصيل المعارك الدامية ٢ ، وفي سنة (٩١٠ ق.م) قام الجيش الآشوري بحملة على بلاد (كوتموخ) فوقعت بينهم ، وبين الناريين معارك دامية فيما بين دجلة ، والجودي أدت الى خضوع بلادهم الى حكومة الآشوريين .

يعتقد بعض المستشرقين ، والمؤرخين أن هذا الشعب النايري بعد ظهور حكومة الميديين أمتزج بالشعب الميدي ، وتالفت منها أمة كبيرة حيث يقول الميجر سون في هذا الصدد إذا نظرنا الى عهد الكوتيين الواقع بين القرن الخامس عشر ، والثاني عشر قبل الميلاد نجد الشعب النايري الذي كان سلف الميديين يعيش في كوردستان الوسط ، وأنه في أيام مجده ، وتفوقه كان على جانب كبير من القوة ، والسلطان اللذين كان لهما شأن ظاهر في اللقاء الرعب ، والهيبة في قلوب جميع الشعوب ، والأمم المجاورة لها ، وهو الشعب الذي حمل أسم (الكورد) فيما بعد هذا التاريخ ، وكانت بلاد (نيري) تمتد في هذا العهد من الحوض الأوسط لنهر الزاب الكبير الى منابع هذا النهر ، وقد أخذ الميدييون يفدون الى هذه البلاد شيئاً فشيئاً بعد زوال حكومتهم فيعيشون بها (٣٠) ، وكانوا يهددون غالباً البلاد الآشورية ، بالاستيلاء ، والأجتياح مما أضطر الجيش الآشوري لأن يلتزم خطة الدفاع فقط عن البلاد .

فمثلاً نرى أن هؤلاء النيريين يغيرون من الشمال الشرقي على بلاد آشور ، وفي سنة (٧٤٣ ق.م) أغاروا غارة شعواء حتى وصلوا الى قلب بلاد آشور فأضطر الملك (تيجلات بلاسر) الرابع الى مقاومة هؤلاء المغيرين ، وطردهم بكل مشقة ، وصعوبة من البلاد ، والجائهم الى ما وراء جبل الجودي ٢٨ ، وقام (سنا نهرين) ملك الآشوريين في سنة (٧٠٥ – ٦٨٣ ق.م) الى (٦٩٩ ق.م) مقاتلة هؤلاء النايرين ، وحدث بينهم ملحمة عظيمة في أطراف جبل الجودي ، ودامت معاركهما مدة من الزمن ، وهذه الحرب الكبيرة مذكورة في السجلات الآشورية بأسم الحرب الخامسة من حروب (سناحريب) .

يقول المستشرق الشهير الميجر (سون) ٣١ في مبحث نايري: لم تكن بلاد نايري عبارة عن القسم الشمالي لنهر الزاب الأعلى فقط بل الواقع ان الملك (تيجلات بلاسر) وأحفاده كانوا يطلقون أسم نايري على هؤلاء الناس الذين كانوا يسكنون في نواحي منابع دجلة ، والفرات ، وفي شمالي (نيفانس) أعني ولايات (ديار بكر ، خربوط ، ودرسم) الحالية ، وفي جبال مندريين

، وطوروس ، وهذه البلاد هي تلك البلاد التي شوهد فيها إقامة الشعب الكورداني الجبار ، وهم أجداد الشعب الكوردي الحالي فمن ذلك التأريخ صار كوردستان ، وطناً لبعض الأقوام ذات لغة واحدة قديمة غير مختلطة .

يظهر أن العشائر ، والقرى التي بناحية (نيري - نهري) بمقاطعة شمدنيان الآن ، ماهي إلا أثار باقية من الشعب القديم ، ويرى العالم الأختصاصي الشهير (مينورسكي) هذا الرأي ذاته . كما أن المستشرق الكبير (توردانجين) ٣٠ يقول في كتابه أن منطقة نايري أو (هو بشكي) هي وادي (بوتان) وأن هذا القسم الشرقي من النايرية كان قد أنشاء حكومة مستقلة .

فى القرن التاسع ظهرت حكومة باسم الخالديين ، او الكالديين (٣١) ، وتأسست فى أوئل القرن التاسع (ق.م) وانه كان لها عدة ملوك قبل الملك (ساردوريس الاول) أبن (آري) ، وخلفه كان (ساردوريس الثانى) هذا معاصراً للملك الاشورى (شلمنصر الثالث) (٨٢٤-٨٤٩ ق.م) ، وهو الذى بنى الدولة الخلدية ، وأحل اللغة الخلدية محل اللغة الاشورية التى كانت لغة التحرير ، والاداب الى ذلك الوقت فى مملكة (أورارتو) .

الأثار المكتشفة فى مضيق (كلاشين) ٣٢ الواقع فى شمال (رايت) تتضمن فتوحات (ساردورس) المشار اليه ، وهى أحجار مكتوبة باللغة الأشورية ، وهى تدل دلالة واضحة على (فتوحاتها الكثيرة) وعثر على آثاره فى صخور قلعة (وان) وفى جوار مدينة (ألكسندربول-كمري) ، وتدل الأثار المكتشفة بجوار هذه المدينة الأخيرة ، وهى تخدم آثار هذا الملك ، كما خدمت بهيستون آثار دارا ، كما ان الملك الخلدى مينواس قام بما لا يقل عن (١٤) حرباً ، وأن أكثر حروب شلمنصر الرابع (٧٨٢-٧٧٢ ق.م) وقعت مع هذا الملك الخلدى ، حيث كانت حكومة خلدى فى هذا العهد منافسة للحكومة الاشورية ، ومهددة لنفوذها ، وكيانها كما أن عهد أبنه ، وخلفه المدعو (ساردوريس الثانى) ايضاً كان عهداً ذهبياً لهذه الحكومة ، وبه وصلت السلطة الخلدية الى أوج مجدها مما أدى الى تززع مركز السلطة الأشورية أمام هجمات الخلديين المتوالية ، وأدى الى ظهور ثورات ، واضطرابات فى داخل البلاد الأشورية من جراء ذلك ، ودام الحال على هذا المنوال حتى تمكن زعيم الثورة العسكرية المدعو (تيجلات بلاسر) من فرض سلطته المطلقة على البلاد .

فى عهد الملك (روساس) الثانى أنتعشت حكومة الخلديين ، وأستولت فى الغرب على (موشكى) و (حيثى) و (هاليزون) و (الزى=بالو) وهى خاتمة فتوحاته ، وقد دام سلطانه حتى عهد (جرىما) المكتوبة سنة (٦٢٥ ق.م) وبقيت لما بعده محتفظة بكيانها السياسى ، ثم عاشت فى حماية حكومة الميديين رداً من الزمن الى ان قضى عليها قضاءً نهائياً من جراء ثورة الكوتيين الكورد (٥٨٠ ق.م) ٣٣ (كامبردج تاريخ القديم)

٨ - الهوريين :

كما ظهر الكورد كحكومة بأسم الهوريين(٣٤) ، بناءً على ما جاء في دار المعارف البريطانية (مادة الهوريين) فإن أول ذكر للأسماء الهورية ترجع الى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد عاش هؤلاء على ساحل البحر المتوسط أيضاً ، وخاصةً في بعض المدن الفينيقية كـ (أرواد) التي حافظت على أسمها الهوري لعدة قرون ، ثم امتدوا نحو بلاد كيزوتنا (كيليكيا) ، وقد وجدت أسماء هورية كذلك على لوحات اكتشفت في شهر بازار على نهر الخابور ، وفي تل براك ، على الرغم من ذلك فإن موطنهم الأصلي في شمال بلاد ما بين النهرين (كردستان الحالية) .

لقد أبقى نزوح مورشيلي الاول الملك الحيثي من أسيا الصغرى الى بلاد بابل (عام ١٥٩٥ ق . م) ورجوعه المفاجى الى بلاده(٣٥) مجموعة من المشاكل السياسية التي يمكن اعتبارها نقطة انطلاق لتغير شامل في بلاد ما بين النهرين ، وشمالها ، وشرقها خلال الالف الثاني قبل الميلاد ، وبالرغم من انتشار الهوريين سلمياً في رقعة واسعة من تلك البلاد قبل نزوح مورشيلي الاول ، وغزوه لبابل ، كما تشهد على ذلك الاسماء الهورية التي عثر عليها في تلك الالآف من الصكوك الادارية ، والتي تعود الى حقبة اكثر قدماً من سلالة حمورابي أي الى عصر سلالة أور الثالثة (عام ٢٠٠٠ ق.م) بجانب ما أستخرجت من رقيمات قانونية ، وتجارية من (نوزى) قرب كركوك ، ثم ما وجدت في ارشيف مدينة ماري من نصوص ذات معان دينية كتبت بالهورية ، وتعود الى عصر زيمريلم ملك ماري ، وخصم حمورابي(٣٦) .

مصادر الفصل الأول

- ١ - (Millingen) حياة بدائية بين الكورد باللغة لندن - ١٨٧٠ .
- ٢- راجع التفاصيل في كتاب (ابي سين) للدكتور فوزي رشيد ص ٢٧
- ٣- نفس المصدر ، ص ٢٩
- ٤- لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا السابق كوردستان ، والأمة الكوردية ، حسن كافي ، ص ٩٠ وما بعدها
- ٥- راجع كتابنا السابق ، كوردستان والأمة الكوردية ، ص ٧٩ وما بعدها
- ٦- د . سبايرز ، ص ٣٨
- ٧- د . سبايرز نفس المصدر ، ص ٤٢
- ٨- د . سبايرز مصدر سابق ص ٤٥
- ٩- للمزيد من المعلومات ، راجع كتابنا السابق كوردستان والأمة الكوردية ، ص ٨٣ وما بعدها
- ١٠- د . سبايرز مصدر سابق ٦٨
- ١١- كميرديج ، تاريخ قديم ج ٢ ص ٤٣٣
- ١٢ - انطوان مونكارت ، هامش كتاب تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ١٦٩ .
- ١٣ - أرشاك سفرستيان - كتاب أرمينيا ، وكوردستان ، ص ١٣٥
- ١٤- بروتيرو ، تأريخ الكورد ، وكوردستان ، ص ٢٤١
- ١٥- أحمد سوسة ، حضارة وادي الرافدين ، ص ١٨٠
- ١٦- أنظر كتاب أصول أقوام ، وشعوب ما بين النهرين ، ص ٩٧
- ١٧- للمزيد من المعلومات راجع كتابنا السابق ، كوردستان ، والأمة الكوردية ، ص ٨٩ وما بعدها
- ١٨- د . سبايرز مصدر سابق ٩٢
- ١٩- راجع كتاب كوردستان والأمة الكوردية ص ٩٣ وما بعدها
- ٢٠- السير كينغ ، تاريخ بابل ، ص ١٢٥
- ٢١- د . سبايرز ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ - ١١٠
- ٢٢- راجع أنطوان مونكارت ، المرجع السابق ص ١٧٩
- ٢٣- بوربي ولانك ، أقوام المرتفعات ، ص ٤٨
- ٢٤ - دار المعارف البريطانية ، مادة ميتاني .
- ٢٥ - د . سبايرز مرجع سابق ص ١٢٠
- ٢٦- راجع كتابنا السابق كوردستان والأمة الكوردية ، ص ١٠١ وما بعدها
- ٢٧ كتاب سياحة متكرة في كوردستان ، وبلاد ما بين النهرين لندن سنة ١٩١٢ ، ص ٢٥٤
- ٢٨- كميرديج تأريخ الشرق الأدنى القديم ص ٤٦١
- ٢٩- الميجر سون ، رابطة الغزو الثامنة من غزوات الملك سرجون ، ٣٢١

- ٣٠ - كتاب كوردستان والأمة الكوردية ، ص ٩٩ وما بعدها
- ٣١ - كتاب سياحة متنكرة في كوردستان ، وبلاد ما بين النهرين ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤
- ٣٢ - كامبردج ، تأريخ الشرق الأدنى القديم مصدر سابق ، ص ٤٦١
- ٣٣ - كوردستان والأمة الكوردية ، ص ١٠٢ وما بعدها
- ٣٤ - راجع بوربي لانتك ، المرجع السابق ص ٩٨
- ٣٥ - كتاب التأريخ العام للمؤرخين ص ١٢٨ - ٢٣٥
- ٣٦ نفس المصدر ص ٢٣٦

الفصل الثاني

الميديون :

تعرضت منطقة الشرق الأوسط في القرن التاسع عشر (ق.م) الى غزو القبائل (الهندو-أوربية) بعد أن هجرت موطنها الأصلي في منطقة (البونتك) ١ (PontiacAre) وهي تقع بين كازاخستان ، ونهر الدنستر ، أو من شرق البحر الأسود الى المناطق الجنوبية من الشرق الأوسط ، نتيجة الحروب الطاحنة بينهم ، وبين الأقوام التي كانت تهاجمهم باستمرار من الصين ، ومن منغوليا ، وغيرها من جهة ، وربما نتيجة القحط ، والجفاف الذي أصاب تلك المناطق آنذاك من جهة أخرى ، ويلوح سبايرز ان الميديين كانوا يضربون في اقليم بخاري ، وسمرقند ، ثم هاجروا ، وسكنوا في باديء الأمر في شرق بحيرة (أرمية) ، والبلاد الشرقية ، والشمالية الشرقية لبحر قزوين حوالي عام (٢٥٠٠ ق.م) ، وقد أرتحل قسم من هذه العشائر الأرية الى البلاد الهندية ، حيث خلفوا هناك كتاباً مقدساً باللغة السنسكريتية ٢ يسمى (فيداس) ، ويتضمن معلومات هامة عن حياتهم الاولى ، والادوار التاريخية التي مرت بهم ، وكان الشعب الميدي أقوى ، وأكبر شعب بين هؤلاء الأريين الوافدين جماعات ، ثم أعقبتهم في الهجرة الأقوام الأرية الأخرى (بارس ، ماني ، بارث) .

المجموعة الأولى كانت تسمى بارسويي (بارس) الذين سكنوا في منطقة خراسان ، وتبريز ، وشكلوا فيما بعد أصل الأمة الفارسية بعد أن تحول حرف (الباء) الى (الفاء) ، (بارس الى فارس) .

المجموعة الثانية من هذه الأقوام هم (البارثيين) الذين سكنوا في منطقة (أرمينيا) ، ومعهم أقوام (ماناي) ، وهم الأرمن الحاليين .

أما المجموعة الثالثة هم الميديون ، وهؤلاء الميديون أتجهوا الى شمال هضبة إيران الوسطى - نحو الغرب ، والجنوب ، وأستوطنوا في السهول القريبة من جبال (زاكروس) مملكة (كوتيام) في الاقليم الذي كان يعرف آنذاك بـ (برسة واش) ٣ بانه الحديثة ، وكان موطنهم بعد اندماجهم مع سكان زاكروس حسب الجغرافية الحالية تشمل (كوردستان ، وأذربيجان) الحالية .

كان الميديين يقطنون في إقليم بخار ، وسمرقند ، ثم توغلوا منه نحو الجنوب شيئاً فشيئاً حتى وصلوا الى كوردستان الحالية ، فوجدوا النحاس ، والحديد ، والرصاص ، والذهب ، والفضة ، والرخام ، والحجارة الكريمة في الجبال التي إتخذوها موطناً جديداً لهم . ولما كانوا قومياً أشداء ، وبسطاء في معيشتهم فقد أخذوا يفلحون أرض السهول ، وسفوح التلال ، وعاشوا فيها عيشة رخيّة. ولم يعمدوا الى الدخول في حروب ، ومنازعات أو محاولة أستتصال السكان الأصليين لجبال زاكروس من اللولويين ، والكوتيين ، وغيرهم من سكان المنطقة الأصليين بل أستوطنوا بالقرب من مناطقهم ، وحصل

بينهم ود ، وتفاهم ، وعمل ، وتجارة ، وتبادل خبرات ، ومصاهرة وما الى ذلك ، وأخيراً أندمجوا معهم بعد قرون عديدة بعد أن أنصهرت لغتهم ، وحضارتهم ، وديانتهم ، وسماتهم الأثروبولوجية ، مكونين معاً شعباً منسجماً واحداً هو الشعب الميدي ، والكوردي الحالي .

استناداً إلى كتابات هيرودوت^٣ فإن الميديين كانوا مؤلفين من ستة قبائل رئيسية ، وهي (البوسين ، بارتاكتين ، سترواخانين ، آريا ، البوديين ، الميكين) ، وهذه القبيلة الأخيرة أطلق عليها أسم (المغان) ، ومعناها أولئك الذين يتمتعون بالقدرات الخارقة ، ويمارسون الأعمال الروحية ، وأطلق هيرودوت اسم الآريين على هذه القبائل الميدية .

كانت هذه القبائل في البداية منفردة ثم أسست كل أسرة حكومة محلية أو إمارة صغيرة مستقلة لها ، وكان قسم منها تابعة للسلطة الآشورية ، وبعضها مستقلة نوعاً ما ، وذلك بتاريخ (١٢٧٤ - الى ٧٤٥ ق.م) ، ويذكر هيرودت في نفس المصدر التاريخي ، أن الميديين أول من تمردوا على حكومة الآشوريين ، وقد بذلوا مجهوداً كبيراً ، وناضلوا نضالاً قوياً في سبيل استقلالهم ، وحریتهم .

أصل التسمية : أطلق المؤرخ اليوناني الشهير (هيرودرتس) أسم الميديين عليهم ، وهكذا أصبح الكورد يعرفون من ذلك التاريخ بأنهم أحفاد الميديين ، والكاتب الأرمني (أرشاك سافرستيان) ؛ يحمل المؤرخ اليوناني (هيرودوس) مسؤولية ذلك الخطأ التاريخي في التسمية ، ويشير (سافر ستيان) الى أن بعض النصوص السومرية المعجمية التي نشرت من قبل الأستاذ (Chirac.E) جاء فيها أن كلمة (Media) مرادفه لعبارة الأرض ، أو البلد مثل (مادا- كوتيام) أي أرض الكوتيين ، إلا أن البابليين الذين تأثروا بالأدب السومري مئات السنين أغفلوا الفهم الأصلي للكلمة ، وأعتبروها اسماً لمنطقة ، أو شعب دون تحديد أي موقع لهما لذا أطلق هيرودوس أسم الميديين (Medis) على الشعب الكوردي في سلسلة جبال زاغروس ، فشاع الأسم لدى اليونانيين ، ومنهم أنتقل بعد ذلك الى المصادر الأوربية كأسم لسلف الشعب الكوردي الحالي في مرحلة تاريخية محددة ، و ليس في اسماء الميديين الذين ذكرتهم النصوص المسمارية اي جرس ايراني^٦

لا يعرف الكثير عن أصل الميديين ، واستناداً على كتاب العهد القديم^٧ ، وكذلك الكتاب المقدس ، فإنهم من سلالة يافث بن نوح ، وأول ذكر لهم في المخطوطات الآشورية^٦ كان في عام ٨٣٦ قبل الميلاد عندما تم ذكر دفع الميديون الجزية للملك الآشوري شلمنصر الثالث ، وهذه ترجمة النص الآشوري (رحلت عن ارض بارسوا ، ونزلت أرض اماديا ، أرض أرازياش ، أرض حرار) وحرار هي الارض المعروفة الان بسيروان العليا .

استنادا إلى د. زيار(٧)، فإنه بحلول سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد هاجرت قبيلتان رئيسيتان من الآريين من نهر الفولغا شمال بحر قزوين ، واستقرا في إيران ، وكانت القبيلتان هما البارسيين ، والميديين .

المؤرخ محمد أمين زكي^٨ ، يذكر بأن هناك احتمالاً كبيراً بأن هذه المجموعة أندمجت مع عدة قبائل مثل " لولو ، و كوتي ، وكاساي ، وسوباري ، وخالدي ، وميتاني ، و هوري ، ونايري " .

يقول ابن خلدون^٩ بأن الكورد منحدرين من الميديين ، ويذكر مشبر الدولة حسن بيرنيا بأن الميديين هم من الشعوب الآرية ، وهم أجداد الكورد ، ولغتهم هي نفس لغة الكورد الموكريانيين^{١٠} ، وأن لغة الماديين هي لغة كوردية .

كما يشير مردوخ إلى أن السلطان الأول للميديين هو " آراماس " و المعروف عند اليونانيين بـ " ديوكس " . كما يقول دومركان بأن الميديين كانوا موجودين منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وأسسوا إمبراطوريات ، وسلطنات كثيرة ، وعرفت العالم عن حروبهم ، وشهرتهم ، وتفوقهم منذ سنة ٧٠٠ قبل الميلاد .

يقول المؤرخ اليوناني " كيتزياس " بأنه تعاقب على حكم الإمبراطورية الميديية عشرة سلاطين ، وكان آخرهم (أستياغ) وأن الإمبراطورية الميديية دامت لمدة ٣٥٠ سنة .

يتحدث الكتاب المقدس^{١١} كثيراً عن الميديون " وهناك أيضاً الكثير من قصص الكتاب المقدس الرائعة التي جرت أحداثها في كوردستان . قبور الأنبياء العظام مثل: ناحوم ، يوناه ، هاباكوك ، دانيال ، ونوح كلها موجودة على هذه الأرض الفسيحة ، ولقد تنبأ عدد من هؤلاء الأنبياء العظام بكلمات عن الكورد الذين كانوا يدعون آنذاك بالميديين .

عن أهمية الميديين في الكتاب المقدس : مثلاً في ناحوم ٧/٣ ، تم التنبؤ بانتهيار نينوى، وبعندئذ تحقق الأمر على يد الميديين . في أرمياء ١١/٥ ، تم التنبؤ مراراً، وبشكل دقيق أن الميديين سيدمرون بابل . في دانيال ٢٨/٥ ، قال هذا النبي العظيم بنهوض الميديين ، والفرس ، وتأسيسهم إمبراطورية عظيمة .

كما يذكر الكتاب المقدس (في السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور السامرة ، وسبي بني إسرائيل إلى أشور ، وأسكنهم في حَلَجْ ، وخابور نهر جوزان ، وفي مدن ماديّ (الميديين) " . الملوك الثاني: ٦/١٧ .

كان الكورد في الكتاب المقدس ، معروفين كقوم شرف يقيمون عالياً كلمة المرء، ويحفظونها عالياً . حين كان الملك الميدي يعطي أمراً، لم يكن مسموحاً لأحد أن يغير ما

كان قد كُتِبَ حسب قانون الميديين ، والفرس : (فُتِبَتِ الآنَ النهيَ أيها الملك ، وامضِ الكتابة لكي لا تتغير كشرعية مادي ، وفارسَ التي لا تُنسخ . دانيال: ٨/٦) .
استنادا إلى المؤرخ الكوردي محمد أمين زكي (١٨٨٠ - ١٩٤٨) إن الميديين ، وإن لم يكونوا النواة الأساسية للشعب الكوردي ، فإنهم انضموا إلى الكورد ، وشكلوا حسب تعبيره " الأمة الكوردية " .

اندمج الميديون مع الفرس في عهد الاخمينيين ، ويعتبر الكثير من القوميات في يومنا هذا أنفسهم كامتداد للميديين كالكورد ، والاصفهانيون ، والأذربيين ، لكن الثابت هو ان الكورد هم من جذور الشعب الميدي ، وتتجسد هذه القناعة في نشيدهم الوطني حيث يوجد في هذا النشيد ، إشارة واضحة إلى إن الكورد هم " أبناء الميديين " .

يذكر (برستيد) ١٢ ، أن إطلاق لفظ (آري) على شعوب (هندو - أروبي) من الأخطاء الشهيرة ، والشائعة لحد الآن ، فالصواب قصر استعمال هذا اللفظ الذي أُشتق منه لفظا (إيران - إيراني) على عشائر ، وقبائل هضبة إيران التي هي جزء من تلك الأرقام المطلق عليها تركيب (هندو - أروبي) .

يعتقد المؤرخ السوفيتي أباييف ١٣ ، بان اليونانيين القدماء ، والحيثيون ، والأرمن القدماء نزحوا نحو الجنوب الى شبه جزيرة البلقان ، وآسيا الصغرى ، اما الباقون في اوطانهم الاصلية فقد شكلوا مجموعتين من المجتمعات الاصلية في اواسط اوربا ، الاولى شملت السلاف . البلت (سكان البلطيق) ، التخار ، الكلت ، والايتاليك .

اما المجموعة الثانية فشملت الجماعة الآرية في جنوب شرق أوربا الذين أصبحت لهم صلات مع عالم (فين اوكر) ، واخيراً انفصلت قبائل هذه المجموعة الآرية في النصف الأول من الالف الثاني قبل الميلاد ، وتوزعت كمجموعتين ، الاولى الهنود القدماء التي يمكن اعتمادها الطبقة السائدة للدولة الميثانية من هذا النوع ، والثانية الآريين القدماء ، جنوب روسيا الحالية بين بحيرة آرال ، ونهر الدانوب ، وانسابت نحو الجنوب ١٤ ، سواء الى البلقان بعبورها لأرنهار الدنيبر ، والدنيستر ، والدون ، والدانوب ، أو بأختراقها لجبال القفقاس ، فقد ادى هذا الى تغيرات جوهرية للعلاقات اللغوية ، والعرقية لشعوب اليونان ، واسيا الصغرى ، وشمال بلاد ما بين النهرين في بداية الألف الثاني قبل الميلاد ، ويرى أباييف كذلك بأن القبائل الآرية بعد أنسيابها من شرق أوربا ، ومن خلال القفقاس نحو الشرق الأدنى ، أستمرت من هنا في هجرتها نحو الهند ، وأن وجود العناصر الهندية القديمة في نصوص الأكديين ، والحثيين في الألف الثاني قبل الميلاد ١٥ . على حد تعبيره تدل على هذا الحدث .

حدود بلاد ميديا :

من الشرق أفغانستان (بل بعض أراضيها) ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ،
ومن الشمال مناطق كادوس فيما وراء نهر آراس ، ومن الجنوب حتى الخليج العربي ،
وقد ضمت داخلياً ما يلي : فارس - أرمينيا - آشور - عيلام - هيركاني - جزء من
باكستان على المحيط الهندي - شمالي شرقي سوريا (١٦)

العاصمة :

بنيت العاصمة عام ٧٢٨ ق.م على يد أول ملك ميدي هو (دياكو) وسميت (جه
مه زان) وتعني باللغة الكوردية مكان الاجتماع ، وسميت أحياناً باسم (هيكمه تانا) ،
ولكنها اشتهرت أخيراً باسم (أكباتانا) ١٧ وهذه التسمية أطلقها عليها اليونانيون ، وقد
تم تثبيتها هكذا بصورة أكثر في المراجع لأن معظمها يونانية كما هي عند زينفون ،
وهيرودوتس ، وغيرهما ، وفي الألواح العيلامية أيضاً ، والاشوريون سموها (بيت
دياكو) نسبة ملكهم باني العاصمة (دياكو) ، وفي الروايات الآشورية سميت بـ (أمدانا
(١٨ ، وفي الروايات الهخامنشية (هناك متان) ، ومكانها الآن قريبة من همدان
في إيران حالياً ، وبالتحديد في غرب إيران شمال نهر نهاوند شرق كرمنشاه .

يقول المؤرخ اليوناني هيروديتس ١٩ ان مدينة هكمتانة ، في عهد الميديين (من
اواخر القرن الثامن حتى منتصف القرن السادس قبل الميلاد) كانت مركزاً
للامبراطورية الميدية ، ثم اصبحت عاصمة صيفية - وربما خزانة - للاخمينيين ، بعد
سقوط الامبراطورية الميدية .

بنيت المدينة ، فوق تلة ، وقد عزز ذلك من وظيفتها الدفاعية ، وهي كانت مدينة عظيمة ،
ومحصنة تحصيناً قوياً بأسوار مكثفة مخططة بشكل دوائر متتالية يعلو أحدها الآخر بشرفات
دفاعية محصنة ، وكانت محاطة بسبعة أسوار دائرية ، وفي السور الداخلي منها اقيم البلاط
الملكى ، والأدارة ، والخزينة ، وكانت مدينة كبيرة بحيث وصل محيط سورها الخارجي بقدر
محيط سور مدينة أثينا .

فبعد ان قرر الملك دياكو ان يتخذ من هكمتانة عاصمة له انصرف الى تجميلها ،
وتحصينها حتى أضحت آية في الجمال ، ومنيعة الحصون ، حقاً اصبحت مدينة جميلة
ليس لها أي مثل من ناحية الجمال ، والفن المعماري البديع ، وفي زينة مبانيها ، وبني
فيها قصرًا عظيمًا يقال ان عدد غرفه كانت في حدود الالف غرفة ، حيث كان يضاهي في
فخامته برج بابل ، وكان القصر منيعاً ، وعلى شكل سبع قلاع ، يقع قصر الملك ،
وخزائنه في الطابق السابع ، وقرر طلاء تلك القصور ، والقلاع بالوان مختلفة ، على

غرار القصور البابلية . وقصر الملك الذي كان يقع في اعلى الأسوار السبعة ، كان يحوي مائة غرفة .

دعا دياكو مواطنيه الى بناء بيوتهم خارج القلعة ، وعلى اطرافها ، واختيار دياكو لهذه المنطقة ليبنى عليها قصره لم يأت إعتباطياً بل كان اختياراً مبرمجاً نظراً لطبيعة المنطقة الساحرة ، والجميلة من حيث وجود سلسلة جبال الوند المكسوة بالثلوج الى جانب الانهار ، والشلالات الوفيرة ، والمصايف الجميلة .

بعد اضمحلال الامبراطورية الميديّة ، أصبحت العاصمة الاخمينية (برسبوليس) بالقرب من شيراز جنوب بلاد فارس ، ولكن لم تفقد مدينة هكمتانة اهميتها في عهد الاخمينيين ، وأخذت كعاصمة صيفية للاخمينيين بعد ربطها بطريق مباشرة مع تخت جمشيد ، او برسبوليس ، عاصمة داريوس ، وكانت أكباتانا خراباً حينما التحم داريوس مع الاسكندر في معركة كوكملا (٢٠) سنة ٣٣١ ق.م .

عندما اخضع الاسكندر المقدوني ٢١ مدن الامبراطورية الاخمينية ، احتل هكمتانة ايضاً ، ويقال انه حينما وصل الاسكندر الى هكمتانة توفي احد قادته الكبار ، وهو (هفايستيون) حيث امر الاسكندر ببناء ضريح يليق بالقائد العسكري ، ولكن لم يتم العثور على ضريح هفايستيون من بين اثار مدينة همدان الحالية .

أكباتانا الآن لا تقع داخل حدود كوردستان بل داخل حدود إيران الحالية ، وقد نجح المنقبون في العثور عليها ، وتمكنوا من إزالة الأتربة عنها ، وهي ضخمة جداً ، وتتميز بسورها النادر الذي يتألف من سبع جدران عالية ، وعريضة بجانب بعضها ، وهي تلتف حول المدينة فالجدار السابع أعلى من السادس ، والسادس أعلى من الخامس ، وبالتدرج هكذا حتى الوصول إلى المدينة .

الحضارة :

لقد أستطاع الميديون أصحاب حضارة الحصان ، والعربات القتالية التي تجرها الخيول السريعة ، والمسلحون بأسلحة حديدية من تأسيس امبراطورية عظيمة ، ولكنهم لم يخلفوا لنا أية كتابة تذكر وان وجد فهو في باطن الارض ، او جبرت لغيرهم كما سنوضح ذلك ، وعلى الرغم من قلة الاثار المتبقية من الحضارة الميديية ، مقارنة بالحضارات الاخرى ، الا ان مدينة همدان التي تبعد ٣٧٥ كلو متراً عن العاصمة الايرانية طهران ، لا زالت عامرة حتى الان بالعديد من اثار الميديين ، منها تلة (هكمتانة) التي تضم تحتها المدينة التاريخية المفقودة فضلاً عن (الاسد الصخري) الرابض في احدى الساحات العامة بالمدينة يا ترى ماذا حل بالحضارة الميديية ..؟

يقول المرحوم الدكتور عبد القادر مارونسي ٢٢ ((بعد انتزاع الاخمينيين الحكم من الميديين ، لم يبق أي اثر للحضارة الميديية ، باستثناء بضع كلمات قليلة علمياً ان المتخصصين في هذا المجال يعترفون بوجود حضارة ، وثقافة ، وتراث ميدي ، ويضيف المارونسي الاخمينيون - تقمصوا - هذا التراث ، وهذه الحضارة ، وهذا ليس رأيي بل رأي اساتذة متخصصين في هذا المجال منهم الدكتور (احمد تفضلي) الاستاذ بجامعة طهران ، ويسترسل المارونسي ان تقمص الاخمينيين للحضارة ، والثقافة الميديية شبيه بانتقال الارث الى الورثة ، فمن حيث اللغة ورث الاخمينيون ديوان الادارة ، باللغة ، والكتابة الميديية ، كما ورثوا اساليب الحكم من الميديين ، وورثوا الاعياد ، والمناسبات الرسمية ، والشعبية من الميديين دون اية اشارة ، او اعتراف بذلك)) .

من هذا يخلص المارونسي الى ان الاخمينيين هم الذين (طمسوا) معالم الحضارة ، والتاريخ الميدي ، وان الامبراطوريات التي تلتها ساهمت في تعميق هذا الطمس ، ولا سيما الامبراطورية الساسانية ، وعن بقايا الميديين في همدان او (هكمتانة) يقول المارونسي (ان كثيراً من الاثار الظاهرة للعيان في همدان ، هي اثار ميديية سجلت باسم الاخمينيين ، ويشمل ذلك العديد من المباني ، والكتابات ، والجداريات ، واعتقد ان كل ما ظهر حتى الان في همدان يعود الى الحضارة الميديية ، كما يضيف (قد قلت هذا الكلام في ايران مراراً وتكراراً) ، وعندما تنقب في قصور الملوك فستحصل على بقايا الحضارة الميديية .

تلة هكمتانة :

على الرغم من التخريب ، والاهمال المتعمد لهذه التلة العملاقة ، كونها اثار حضارة خاصة تعود الى اسلاف الشعب الكوردي ، والكشف عنها سيكشف عن حضارة الشعب الكوردي الموعلة في القدم ، الا ان اثار المدينة ما زالت باقية ، وهذه المدينة

التي ظهر قسمها الشرقي من تحت الارض ، تكشف عن نظام معماري متقدم ، نظام صممه معماريون متخصصون قبل تنفيذه على الارض ، ولا شك ان بناء هكذا مدينة محكمة ، وحصينة ، وجعلها مقرا للحكومة ، وخزيتها ، وعاصمة للامبراطورية ، لا يتم إلا من قبل ملك مقتدر ، ثم ان مدينة بكل هذه القلاع ، وابراج الحماية دليل على اتخاذ الحيطة ، والحذر من الاعداء المتمثلين بالجوار ، وتكمن اهمية تلة هكمتانة كونها تضم تحتها أطلال عاصمة الميديين ، وتلة هكمتانة تلة بيضوية الشكل ، مساحتها في حدود الثلاثين هكتاراً ، اذا ما أستثنينا اكثر من عشرة هكتارات اخرى من اطراف التلة انشأت عليها بيوت سكنية ، ويقسم شارع اكباتان التلة الى قسمين ، شرقي ، وغربي ، وما عدا همدان ، وتلة هكمتانة فإن هناك العديد من الاماكن الاثرية الاخرى التي تؤرخ للامبراطورية الميدية كتلال منطفة (كودين) بالقرب من كنكاور في كرماشان ، ونوشيجان في ملايين ٢٣ ، وهي بمجملها تعكس حضارة انسانية راقية ، ومتقدمة .

الاسد الصخري :

من الاثار الميدية المتبقية في همدان - رغم عوادي الزمن ، ورغم محاولات الطمس ، والاهمال المتعمد - تمثال الاسد الصخري العملاق ، والذي ينسب الى الملك الميدي دياكو ، ويبدو انه مثلما حاول بناء قصوره على غرار القصور ، والجنائن البابلية ، فإن اسد هكمتانة ، هو الاخر ، شبيهه باسد بابل .

ينتصب الاسد الصخري في احدى الساحات العامة في مركز مدينة همدان ، وهو بطول ٥,٢ امتار ، وبعرض ١,١٥ متر ، اما ارتفاع التمثال فهو في حدود الـ ٢,١ متر ، وكان يطلق على المنطقة التي يوجد فيها الاسد ، باب الاسد . والملاحظ في الصورة هو كسر اقدام الاسد في مرحلة معينة من مراحل التأريخ ، وتقول بعض المصادر ان لبوة صغيرة كانت موجودة الى جوار الاسد الصخري ، ولكن لم تعد موجودة الان .

أما في مجال الفنون فقد عاش الميديون مرحلة متقدمة في الفن إذ شهد هذا العمل أنواعاً مختلفة ، ومجالات متعددة ، فقد كان على الألواح ، أو الجدران ، أو القبور ، أو الحجارة ، أو الحديد ، أو النسيج كما إنهم عرفوا خياطة الألبسة ، والغزل ، والنسيج ، والنقش على الخشب ، والحديد ، وأيضاً صنعوا التماثيل ، وخاصة للمشاهير منهم ، وللآلهة ، وقد دلت اكتشافات (تل هسار) على هذا الفن الرائع ، كما تم العثور في كهفين على نوع متقدم من الفن ، أولهما في (كهف شهرزور) ٢٤ في مناطق مدينة السليمانية حالياً في جنوب كردستان ، فقد كان عبارة عن قبر للملك (كيخسرو) بالإضافة إلى الرسومات العديدة له في مختلف مناخ الحياة السياسية ، كما وجد تمثال ذو أربعة أجنحة ، وهو لشخص محفور على حجر عليه صورة كوكب الزهرة التي تدل

على الآلهة أنهايتا ، وللقمر الدال على الآلهة (ميثرا) ، وللشمس الدالة على (أهورامزدا) إله الخير لدى زرادشت بالإضافة إلى صورة كاهن من الموغ أمام موقد نار ، هنا نتذكر مواعد النار التي كانت عبارة عن حفرة في حجرة أو صخرة , أي (فرن) ، وهي وجدت بكثرة في جنوب كوردستان ضمن الكهوف ، والمغارات ، أما الكهف الثاني فيقع في منطقة دوكان ، وقد عثر فيه على قبر الملك الميدي أسيتاغ ، بالإضافة إلى تلك الفنون فقد رسم الميديون ألواناً عن الطبيعة ، وأشكالاً لها على الصحون ، والكؤوس عن طريق الزخرفة ، وهي في ذلك موضع الاستغراب بالنسبة للزمن الذي تنتمي إليه ميديا ، عدا القبور التي يوجد واحد منها بالقرب من ساري بول غربي رؤوس سلسلة جبال زاغروس وغيرها في دوكان داور ، ومثلها اثار (فاهريكا) جنوبي بحيرة اورمية حيث تبدو قبور الامراء قائمة في جوانب الجبل ، زين اول واحدمنها بنقوش ، وهي تصور شخصاً يقبض على حزمة من الاغصان ، وتدعي يبدو ان الرسوم كانت تستعمل في الاحتفالات الدينية .

إن المؤرخ الروسي دياكونوف ٢٥ يورد قولاً على إن التمثال الذي عثر عليه في تل هسار لشخص عيناه لوزيتان تشبهان سكان زاغروس ، وديالا الحاليين .

المعتقد والديانة :

كانت المعبودات القديمة قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين ، والشرق الأدنى، وقبل ظهور الديانات السماوية ، والديانات الأخرى هي : (الشمس - القمر - النجوم - السماء - الأرض - الجنس - الحيوان - الطوطمية - الانتقال الى مرحلة الآلهة البشرية - عبادة الأشباح - عبادة الأسلاف) ٢٥ ، وهناك الآلاف من النصوص المسمارية ذات المواضيع المختلفة التي تركها لنا العراقيون القدماء ، فادتنا في فهم جوانب من معتقداتهم الدينية ، ومن هذه النصوص القصص ، والأساطير الدينية ، والملاحم ، والتراتيل ، والصلوات ، وجداول بأسماء الآلهة ، والأرواح الشريرة ، والخيرة ، ونصوص الفأل ، وقراءة الطالع ، والنصوص السحرية ، ونصوص خاصة بكيفية إقامة الشعائر ، والطقوس الدينية ، وأخرى خاصة بالأحتفالات ، والأعياد الدينية ، ونصوص الرقي المسمارية المكتشفة ، أفادت في دراسة الديانة القديمة ، وهي تشير الى مدى تغلغل الدين في نفوس القدماء ، وتأثيره على حياتهم الخاصة ، والعامية ، إضافة الى النصوص ، هناك الكثير من المخلفات المادية التي أمدتنا بمعلومات وافية عن المعتقدات الدينية ، كالمعابد ، والزقورات ، والتماثيل ، والنصب ، والألواح الجدارية ، والدكاك ، والمذابح ، وأثاث المعابد ، والمشاهد الدينية الكثيرة المنقوشة على الأختام الأسطوانية ، والأواني الفخارية ، وغيرها .

كان الشعب الكوردي قديماً ، وثنينياً مثل جيرانه من الشعوب الأخرى ، فكان كبير الهتهم يدعى (سرياش) وهو ألهة الشمس ، ومعبوداتهم الأخرى هي (خارب ، دونياش ، شاخ ، شيباك ، شوكامونا... الخ) وكان الكيشيون يسمون الأله (بوغاش) ، وقبل قيام الإمبراطورية الميديية كانت مبادئ (أناهيتا) في كوردستان الأكثر انتشاراً ، والتي تمثل نجم الزهرة ثم تلتها معتقدات (ميثرا) التي تمثل القمر ، وبعدها اختلطتا بالديانة الزرادشتية .

في كتاب (تأريخ ايران القديم) ٢٦ دراسات قيمة عن معتقدات ، وديانة الجنس الآري في هضبة ايران ، وجيرانهم القدماء من العناصر الأخرى ، وتدل هذه الدراسات على ان معتقدات قدماء الآريين في ايران ، ولغتهم ، كانت متحدة مع ديانة قدماء الآريين في الهند ، ولغتهم ، وانه فيما بين القرن الرابع عشر ، والقرن التاسع قبل الميلاد ، انفصلوا عن بعضهم ، وصار لكل قوم منهم عقيدة خاصة ، ولغة خاصة مستقلة .

فالتأريخ التقريبي الأول لظهور ديانة الكورد القدماء ، هو تأريخ وضع (فيداس) الكتاب الهندي المقدس باللغة السنسكريتية ، كما يجب ان نعلم هنا ، على خلاف هذه الدراسات ، ان بعض الأقوام الآرية مثل الكوتي ، واللولو ، والكيشي ، والعيلامي ، والميتاني ، وغيرهم من (شعوب جبال زاغروس) قد تأثروا من كل الوجوه تأثراً كبيراً بسبب الأختلاط من فجر التأريخ بالسومريين ، والبابليين ، والاكاديين ، فلذا لم تخلص معتقداتهم ايضاً من هذا التأثير .

ثم ظهر المصلح زرادشت سنة (٦٠٦ قبل الميلاد) ٢٧ ويقول العالم المستر (جاكسون) الأخصائي العظيم في العقيدة الزرادشتية ، ان (زرادشت) ولد في النصف الثاني من القرن السابع (ق.م) وهذا ليس قطعياً ايضاً ، ولكن الروايات الزرادشتية نفسها تفيد ان هذا النبي او المصلح زرادشت ولد في القرن السابع قبل الميلاد ، وشرع في بث تعاليمه ، ونشر دعوته على شواطئ بحيرة (آرومية) وكانت العبادة موزعة بين (هرمز) أله الخير ، و(أهرمن) أله الشر فأدخل التوحيد لأول مرة في الفكر الديني ، ودعى الى عبادة رب واحد احد ، وهو (يزدان) ونشأت الديانة الزرادشتية ، وانتشرت في ميديا ، وكل إيران .

الله عند زرادشت موصوف بأكمل الصفات ، وهو يقول ان الله خلق الدنيا على ست مراحل ، السماء ثم الماء ثم الأرض ثم النبات ثم الحيوان ، واخيراً الأنسان ، وكان يؤمن بالبعث بعد الموت ، وبالحساب ، والعقاب ، والثواب .

كان يقول ان الأخيار يرفعون الى السماء ، والاشرار يقذفون الى الهاوية.. اي الجنة ، والنار وكانت النار تقدر عند زرادشت باعتبارها أظهر المخلوقات لا باعتبارها الهاً يعبد ، وكان يؤمن بالروح ، وانها تخلق لكل انسان قبل ان يخلق جسده ، وهو الذي حطم الأصنام ، والأوثان بالنسبة للديانة الأيرانية ، ورفع راية التوحيد في ربوعها ، وهكذا كان الكورد على الديانة الزرادشتية حتى صدر الإسلام .

كان كتاب الابستاق (أفستا) ٢٨ والذي كتبه زرادشت بنفسه ، وبخط يده ، وبماء الذهب على (١٢٠٠٠) ألف قطعة من جلد الأبقار المدبوغة التي أهديت له من قبل الملك الميدي (فرايورتيس - خشاتريتا) في عام ٦٢٨ ق.م ، وهي عبارة عن (٢١) سورة لم يصلنا منها سوى سورة واحدة ، وبضع آيات من بعض السور الاخرى ، وأن الاسم الصحيح لهذا الكتاب ، او السور الزرادشتية هو (زند- وأفستا) ومعناه (قانون ، وتفسير) و (زند) هو التفسير ، فهذه السور قد ألفت ، وجمعت بمختلف اللهجات الأيرانية في عهود مختلفة ، وفي مناطق عدة ، فمن هنا كانت تسمية هذه الكتاب بلفظ (أفستا) فبناءً على هذه النظرية ، وما يؤخذ من الآثار المكتشفة الايرانية التي يرجع تأريخها الى القرون الوسطى يجب ان يكون لفظ (زند) الذي معناه التفسير من الالفاظ البهلوية .

أما النار فكانت مقدسة لدى زرادشت ، ولم يدعو زرادشت الى عبادة النار بل قال ان (الماء ، والتربة ، والهواء ، والنار) اشياء مقدسة يجب عدم تدنيسها ، هذا وفي عهد الفتوحات الإسلامية

عامل المسلمون الزرادشتيين بأمر من سيدنا عمر رضى الله عنه معاملة اهل الكتاب ، مما يدل على ان (الآفيستا ، او الأبستاق) هذا كان في نظر المسلمين كتاباً مقدساً ، وقريباً من الكتب السماوية .

خلاصة القول ان تعاليم زرادشت كانت تنص على الروح اذا كانت خيرة أي حائزة لصفات ثلاث ، تصل ولاشك الى عالم أرقى مما هي فيه ، والصفات الثلاث هي ، النية الحسنة ، والكلام الطيب ، والعمل الصالح ، وهذا العالم الراقي التي تدخل فيه تلك الروح هو مايسمى في اللغات الآرية القديمة ، والحديثة (نينوه هيشت -بهشت اي الجنة) ، والروح التي تكون شريرة او مذنبية تدخل عالم الألام ، والمشاق أي (جهنم) وهناك منزلة ثالثة تسمى (هيمستيكان) ٢٩ بين الجنة ، والنار مخصصة للذين تتساوى أعمالهم الطيبة ، والرديئة وزناً ، ومقادراً ، فيبقون فيها منتظرين يوم التناد أي يوم القيامة ، ومن مبادئ الديانة الزرادشتية الأساسية ، ان احسن عمل يقوم به المرء في حياته هو الأشتغال بالامور الزراعية ، والاقتصادية ، والعمل على توفير المال الذي هو عصب الحياة فلهذا كان (زرادشت) يحرم الصوم على الزراع لئلا يكونوا ضعافاً خانري القوى ، هذا ، ويرى معتنقوا هذا الدين ، ان زرادشت كان نبياً يكلمه الله سبحانه ، وتعالى ، ويوحى اليه كسائر الانبياء (كتاب فجر الاسلام) ٣٠ ، ويظهر انه في عهد الملك (داريوس) الكبير قد تلاشت آثار ، وشعائر ، وطقوس الديانة الزرادشتية ، وحلت محلها ديانة (مخ - مجوس) التي تقدر النار ، وتوطد نفوذها في عهد هذا الملك الكبير ، وصارت ديناً رسمياً للدولة ، والأمة الأيرانية جمعاء .

كان زرادشت في الأمة الآرية القديمة أشبه ما يكون نبياً ، ولكنه لم يرد اسمه في الكتب السماوية ، ومرشداً اجتماعياً فوق العادة ، الف كتابه (زند أفيستا) ، حتى قتل في أواسط النصف الأول من القرن السادس (ق.م) ، وهو في سن الشيخوخة في حرب دينية كان قد أثارها ضد الشعب الهيويني ، وكان قائد جيوش الهيونيين يدعى (أرجاسب)

خلاصة القول ان آريي إيران كانوا مثل آريي الهند يعبدون بعض الظواهر الطبيعية ، والعناصر الكونية ، وأنهم قبل هؤلاء الهنود أرتقوا الى عبادة اله واحد قدير بفضل تعاليم زرادشت .

من الجدير ذكره هنا هو أن السيدة المعروفة في تاريخ الشرق الأوسط باسم نفرتيتي (ومعناها بالكوردية نفرتي-تي أي المرأة الجميلة قادمة) ٣١ ، زوجة الفرعون المصري المنحوتب الرابع هي ابنة ملك الإمبراطورية الميتانية التي كانت عاصمتها (واشوكاني - سري كانيه) أي رأس العين قرب قامشلو تمتد بأصولها الدينية إلى أنهايتا ، وميثرا لذا عندما تزوجت الفرعون المصري جعلته يغير من معتقداته الدينية التي يعتبر فيها نفسه الإله الحي على الأرض ، بينما الإله الآخر في السماء أي آمون بهذا يكون اعتقاده باله ثنائي ، فعاد يؤمن باله واحد فقط في السماء ، واسمه (آتون) أي الشمس ، ومن الجدير قوله إن كلمة آتون مازالت تستخدم في اللغة الكوردية حتى وقتنا

الحاضر بمعنى الحرارة الشديدة ، وربما كانت تعني الشمس قديماً ثم أعتبر الفرعون نفسه خادماً لآتون فقد غير من اسمه ، وجعله (آخن- آتون) أي إخناتون، وفي اللغة المصرية القديمة تعني خادم آتون أي خادم الله ، أو عبدالله كما هي التسمية الآن.

اللغة ، والكتابة :

لكي نتعرف بشكل جيد على اللغة الكوردية الميدية ، لابد ان نتعرف على المدلول اللغوي لمجموعة اللغات (الهندو – أوربية) ٣٢ ، ومدى علاقة اللغة الكوردية بهذه اللغات ، وينبغي ان نعيد الى الأذهان بعض الحقائق التاريخية ، فقد لاحظ الأركولوجين ان هناك سمة مشتركة لحضارة بشرية قديمة أنتشرت عقب انتهاء العصر الحجري الحديث فوق مساحة شاسعة في أراضي العالم القديم (كرومانيا ، وجنوب روسيا ، وفي سوسه ، وبلوجستان ، والهند ، وتركستان ، وكوروستان) ، نتيجة لذلك فقد توصل العلماء الى القول بانه لابد ان تكون هذه الحضارة متشابهة في صنع شعب واحد ، ونظراً لانتشار معالم تلك الحضارة من الهند الى أوربا ، فقد أصطلحوا على تسمية ذلك الشعب بأسم (الهندو – اوربي) ، ويعتقد انها كانت سائدة في الالف الخامس قبل الميلاد ، وكان هذا الشعب يتكون من قبائل عديدة كانت تسكن قبل هجرتها ، وتفرقتها في موطنها القديم الواقع في السهول الممتدة الى الشرق ، والشمال الشرقي من بحر قزوين ٣٣ .

لما كان مجموع تلك القبائل يكون شعباً واحداً فأنتهم كانوا يتكلمون لغة واحدة تقريباً أصطلح على تسميتها (اللغة الهندو – أوربية) ، تفرعت منها اليوم جميع اللغات التي تتكلم بها الشعوب الناطقة باللغات الأرية كما ان لفظ أري أستعمل خطأ ليدل على أسلاف الشعب (الهندو – اوربي) . الحقيقة ان لفظ أري مشتق من الأسم اليوناني الذي اطلقوه على هضبة إيران الممتدة من جبال زاكروس غرباً ، وحتى نهر السند شرقاً ، حيث كانت هذه المنطقة تعرف آنذاك باسم (أرينا) ، والتي أشتق منها أسم إيران الحالي .

يعزي الأكتشاف الأول للسمات المشتركة لمجموعة اللغات (الهندو – أوربية) للعالم اللغوي الألماني فرانز بوب (١٧٩١ – ١٨٦٧) ٣٤ الذي أعتبر اللغة الأرية في فروعها قد تطورت هي بدورها من لغة تاريخية يسميها المختصون بأسم اللغة (الهندو – أوربية البدائية) ، يعتقد بأنها كانت سائدة في الألف الخامس قبل الميلاد ، وقد انتشرت هذه اللغة مع هجرات الشعوب (الهندو – اوربية) التي أتجهت كل مجموعة منها نحو منطقة من مناطق العالم القديم ، وبخاصة في آسيا ، وأوربا ، فهاجر كل قسم منهم عبر نهر الدانوب الى شبه جزيرة البلقان ، وأوربا الشرقية ، وهم أسلاف اليونان ، والرومان ، وغيرهم من الشعوب الناطقة باللغات الأوربية المعاصرة ، في حين توجه قسم آخر منهم نحو الجنوب الشرقي فوصلوا حدود الهند ، وأستقروا في السند ، والبنجاب ، وهم أريو جنوب آسيا ، وهم الذين يتكلمون اليوم باللغات الهندية من مجموعه اللغات (الهندو –

أيرانية) في جنوب آسيا ، أما القسم الثالث فقد اتجه نحو آسيا الصغرى ، وجبال زاكروس ، وأنتشروا في إيران ، وكوردستان ، وهم الميديون أسلاف الشعب الكوردي .

يقول علماء لغات الشرق القديم الغربيون أن لغة ماد هي أساس اللغة الكوردية الحالية ، فاللغة الميدية تشكلت بامتزاج الايرانية مع الكوتية ، اللولوية ، والميتانية ، الهورية ، والعلامية ، والكيشية) وحسب رأي توفيق وهبي ٣٥ ان اصل اللغة الكوردية تعود الى اللغة (الميدية – آفيستا) وانها مستقلة عن اللغات (الهندو – أوربية) ، وخصص الباحث مبحث عن اللغة الكوردية ، ومكانتها بين اللغات الاخرى ، وذكر ان اللغة الكوردية اقدم اللغات الموجودة في بلاد آسيا الغربية ، ولها صلات نسب باللغه الأفتسية ، والبهلوية .

يقول مينورسكي (ان اللغة الكوردية من أسرة اللغات الايرانية) ٣٦ ، وهي تتكون كما هو معروف من الفارسية ، والأفغانية ، والبلوجيه ، والاسينيه ، ولها أسماء اخرى قديمة ، وحديثة ، وهي ليست فارسية محورة ، وانما هي لغة مستقلة لها قوانينها الصوتية ، والصرفية الخاصة ، وعلاقتها بالفارسية كعلاقه الصربية بالروسية ، ويتكلم الكورد كأجدادهم الميديين لغة (هندو-أوربية) هو نفس اللغة التي كتب بها كتاب زرادشت (آفيستا) وتنحدر هذه اللغة من فرع (زند آفستا – اللغة الزرادشتية) من المجموعة الايرانية ، وحافظت على روابط متينة مع اللغة السنسكريتية ٣٧ ، في حين ان اللغة الفارسية تنحدر من العائلة (المذرية) .

صحيح ان اللغة الكوردية تشبه ظاهرياً اللغتين البهلوية ، والفارسية الحديثة ، وفيها مفردات كثير من اللغة الهندية ، والأرمنية ، والقوقاسية ، وهذا بسبب هجرة اقوام الهندو – أوربية من القوقاس ، ومن ثم انقسامها الى ثلاث مجاميع ، كما وضحنا ذلك سابقاً ، وصحيح لها أختلافها ، وتطوراتها عن لغة (الأفستا) الا ان الكوردية لها شخصيتها المستقلة كلغة حية ، كما يجب ان لايفهم من عبارة (اللغات الأيرانية) بانها تعني اللغات السائدة ضمن حدود جمهورية إيران الحالية ، بل ان اللغات الايرانية مصطلح يرمز الى مجموعة كبيرة من اللغات تتجاوز حدود المتكلمين بها حدود هذه الدولة التي هي فرع من اللغات (الهندو – ايرانية) ، على هذا الأساس فان اللغة (الهندو – أوربية) تضم اليوم مجموعات لغوية رئيسة ، وفرعية عديدة في قارتي آسيا ، وأوربا وهي ٣٨ :

- ١- المجموعة الهندو – ايرانية
- ٢- المجموعة الانضولية
- ٣- المجموعة الأيطالية
- ٤- المجموعة الجرمانية
- ٥- المجموعة الكلتيية
- ٦- المجموعة البلطيقية – السلافية

وبعض اللغات الأخرى ، وهذه المجموعات اللغوية تنقسم بدورها الى عدة لغات ، او مجموعات لغوية (الهندو - اوربية) المعاصرة .
تضم المجموعة اللغوية الأيرانية العديد من اللغات .

١ - الكوردية (الآفستا)

٢ - البلوجية

٣ - السوغديانية

٤ - البشتوه

٥ - الفارسية القديمة

لوحظ ان هناك تقارباً واضحاً بين مجموعة اللغات الهندية ، والأيرانية ، وقد دل ذلك على انحدارها من أرومة لغوية واحدة أصطلح عليها أسم (اللغة الهندو - أوربية) يعتقد انها الأصل الذي تفرعت منه المجموعات اللغوية الهندية ، والأيرانية الحالية ، اما المجموعة اللغوية الأيرانية التي تنتمي اليها اللغتان الكوردية ، والفارسية ، وغيرها من اللغات التي سبق ذكرها فتقسم الى ثلاث شعب هي :

اللغات الأيرانية الشمالية الغربية .

اللغات الأيرانية الجنوبية الغربية .

اللغات الأيرانية الشرقية .

وتتنمي اللغة الكوردية الى المجموعة الأولى ، بينما تنتمي الفارسية الى المجموعه الثانية ، وهذا دليل على أستقلالية كل منها عن الأخرى .

اما فيما يخص الأبجدية الكوردية فقد أشار (كيوموكراني) ٣٩ حول وجود أبجديه كوردية ، تطرق اليها (ابو بكر بن وحشية النبطي) ٤٠ ، اما اسماء بعض الأبجديات التي استعملها الكورد في الفترات التاريخية حيث يشير الى ماكتبه (محمد ملا عبد الكريم المدرس) والذي قال انه في القرن التاسع قبل الميلاد أخترع شخص كوردي يدعى (ماسي سورات) حروفاً حسب المخارج الأبجدية ، ودون بها افكاره ثم اخذ الكورد يستعملونها لأغراضهم الكتابية ، وهذه الحروف تشبة الحروف الأستائية التي أخترعت أبان القرن السادس قبل الميلاد ، وقد ظلت حروف ماسي سورات مستعملة بين الكورد الى حين ظهر الاسلام .

أما الكتابة فكانت في البداية المسمارية ، وأحياناً هيروغليفية ، واتخذت شكلاً مغايراً نسبياً عندما أصبحت الديانة الزرادشتية الرسمية في البلاد إذ استخدمت حروفاً مشابهة للمسمارية في كتابة زند - آفيستا فأخذت تحمل اسم اللغة ، والكتابة الزندافستية ، ثم فيما بعد تحولت إلى الفهلوية حتى قبيل مجيء الإسلام ، وقد كان الكورد ، والفرس مشتركين في تلك الكتابة .

بعض الكلمات الميضية :

ساخو : كانت تطلق على اسم منطقة ، وهي شبيهة باسم زاخو الحالية .
كيا - كيخا : تطلق هذه التسمية حتى الآن على رئيس القبيلة أو سواه في مناطق من شرقي ، وجنوب كردستان .

آرتا : الفرن

أسب : الحصان .

نان : الخبز .

تيغر = تير (٤١) لأنه في اللغات اللاتينية لا تلفظ حرف الغين ، وبذلك فهي تعني السهم ، وقد أستمد نهر دجلة اسمه منها كونه يجري كالسهم ، وكان يسمى تيغلات .
خراسان : منطقة من ميديا ، ويعيش فيها الكورد بكثرة ، وهي تقع خارج حدود كردستان الحالية .

شير : مرتبة دينية زرداشتية وما زالت تستعمل لدى أخوتنا الإيزيديين .

ميرتا (مارتا) ٢ ٤ شجاع متمرد ثائر ، وهي تسمية يطلقها كتاب زندافستا على ميديا .
زير : الذهب .

نوروز : اسم شهر آذار .

أسبجي : مربى الحصان .

قبل الختام نقول إن مشير الدولة ٣ ٤ يؤكد على إن لغة ميديا كانت الأساس للكورد ، ولغة الكوردية الحالية ، كما أورده العلامة محمد أمين زكي ٤ ٤ .

الميديون ، والأمبراطورية الآشورية

نبذة عن العصر الآشوري الحديث (العهد الأمبراطوري) الذي تزامن مع ظهور الميديين على المسرح السياسي في المنطقة ، يمكن عد عام ٩١١ ق.م ، وهو العام الذي اعتلى فيه الملك (اد - نراري) الثاني العرش الآشوري بداية عصر جديد ، وأستمر حتى نهاية كيان الآشوريين السياسي عام ٦١٢ ق.م على يد الميديين ، وتميز هذا العصر بتعاظم قوة الآشوريين ، وأزدهار حضارتهم ، وامتداد نفوذهم حتى شملت حدود دولتهم معظم أقاليم الشرق الأدنى ٤٥ .

أن أستعراضاً سريعاً للأوضاع السياسية العامة في منطقة الشرق الأدنى القديم في مطلع الألف الأول قبل الميلاد ، يوضح ان القوى الكبرى التي كانت تتحكم في توجيه الأحداث خلال العصر الآشوري الوسيط ، تتمثل بالأمبراطورية الآشورية في آسيا الصغرى ، وشمال بلاد الشام ، كانت قد اختفت من على المسرح السياسي ، والعسكري ، أو زال تأثيرها ، أو أنكمش ، وتقلص .

لقد كان الملوك الآشوريين يصفون الميديين بالأقوياء ، وقد نجحوا في اقضاء البعض منهم ، وعقدوا المحالفات مع بعض الاخر فيما بقت اقسام منهم غير خاضعة للآشوريين ، كما ترك الاشوريين من خلال غزواتهم في أرض كوردستان كثيراً من الاثار التي تبين مدى قوتهم ، واهميتهم إذ تبدو تلك الاثار على المنحوتات ، والنقوش في منطقة مالطاني التي لا تبعد عن دهوك ، وباتاس بين شقلاوة ، وراوندوز ، ومن دربند الاولى ، ورمكا على نهر الزاب الطريق الطبيعي بين نينوى ، وفارس .

الآشوريين كانوا في حالة حرب مستمرة مع الدول المجاورة ، ومنها دولة اورارتو Urartu التي كانت مدينة (توشبا) Tushpa الواقعة على الضفة الشرقية لبحيرة (وان) عاصمتها فكان كل طرف يسعى للحصول على حلفاء بين شعوب المنطقة ، ويسعى لاقتطاع جزء من اراض غريمه ، فمثلا عقد ملك اورارتو (روسا الثاني) حلفاً مع بعض الحكام الميديين منهم داياوككو Daiaukku اول ملوك الميديين ، والذي يسميه الاغريق بديوكس Deioes او (دياكو) ، وكذلك مع حاكم آخر باسم باكداتي Bagdatti (الذي يعني اسمه هبة الله) ، وغيرهما ، وكان من نتيجة هذا الحلف ان تم اقتطاع اجزاء من اراضي (ماننا) جنوب بحيرة اورمية ، والتي كان حاكمها تابعاً للآشوريين ، وما كان من الملك الآشوري سرجون الثاني حينذاك ، إلا ان هاجم الحلفاء في حملة طويلة (٧١٤ قبل الميلاد) اعاد فيها الأمور الى نصابها ٤٦ .

استمرت الحملات الآشورية على بلاد الميديين ، إلا اننا نرى تراخي قبضتهم عليها بالتدريج حيث نرى الملك الاشوري اسرحدون (٦٨١-٦٦٩ قبل الميلاد) يعقد اتفاقاً مع احد حكامهم المدعو (راماتايا) يتعهد بموجبه بمساعدة ابن الملك الاشوري عندما يعتلى العرش ضد أى تهديد . هذا ، وقد تحول الميديين الى الهجوم ايام ملكهم

فرانورت حيث اغار على البلاد الخاضعة لآشور عام ٦٣٤ قبل الميلاد في الجبهة الشمالية ، والشمالية الشرقية كانت ضغوط الأقوام الميديّة على أشدها ، وكادت تقضي على الدولة الآشورية لولا تحالفات الآشوريين مع السيثيين ، والمصريين ، وعزم وثبات قواتهم ، وصلابتها . من جملة القبائل المتمردة ضد الدولة الآشورية هي قبائل منطقة كوردستان الحالية مثل منطقة زاموا (وأقليم تشخان) جنوب شرق الأناضول ، ودولة اورارتو ، وبلاد نايري ، ومنطقة القبائل الميديّة ، ولم تكن السيطرة على هذه المناطق الجبلية بالأمر اليسير ، بل كانت من الامور الصعبة التي شغلت الحكام الآشوريين ، وقطعاتهم العسكرية سنين طويلة ، وأنهكت قواها . يمكن اعتبار تاريخ اعتلاء الملك (ادد - نراري) الثاني عام ٩١١ ق.م (بداية عهد دولة آشور - الثاني عام ٩٣٣ ق.م) ، وبداية عصر جديد في تاريخ الآشوريين ، حيث أستطاعوا فرض سيطرتهم على الاراضي التي الحقوها بالامبراطورية الآشورية ، ونهج (توكلتي نورتا الثاني) (٨٩٠ - ٨٤٤ ق.م) السياسة نفسها التي أنتهجها أبوه من قبل ، فبدأ بحملته على بلاد نايري في الجنوب الغربي من بحيرة ، (وان) ، واخرى الى المنطقة الواقعة بين الزابين ، وثالثة الى بلاد بابل حيث ، وصل الى دور كوريكالزو ، وأسيا ، وأستمر في زحفة غرباً فشمالاً حتى وصل نهر الخابور ، ومنطقة نصيبين ، واخيراً قام بهجوم على منطقة (مشكو) ٤٧ في أسيا الصغرى .

ثم جاء عهد آشور ناصر بال الثاني (٨٣٣ - ٨٠٩ ق.م) ، وكان عهد ازدهار حضاري ، وتفوق عسكري ، وأستمرت النشاطات العسكرية الآشورية في عهد شيلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) خليفة آشور ناصر بال الثاني ، وخليفة (شمشي - ادد) ، وفي عهده أنسلخت الاقاليم في الشمال ، والشمال الشرقي في منطقة بلاد نايري .

ثم خلفه ابنه (أدد - نراري الثالث) ، وهو قاصر فتولت أمه شمسور امات (التي عرفت في المصادر الكلاسيكية باسم سميراميس) الحكم وصية على ابنها ، وحكمت نيابةً عنه لمدة خمس سنوات ، وفي عهده حاولت الدويلات ، والمماليك في بلاد الشام بما فيه دويلة اسرائيل الخروج عن سلطة الآشوريين ، وتجديد حلفها القديم ، والقضاء على النفوذ الآشوري غير ان القوات الآشورية القوية عاجت الموقف ، وأفشلت هذا المخطط .

أجتاحت بلاد آشور ثورة أهلية عارمة قضت على الملك الحاكم ، وأفراد أسرته ، وهربت الملكة سميراميس ، وتم تنصيب الملك تجلات بلاسر الثالث الذي عرف في المصادر البابلية بأسم (يول) الذي ادعى بانه سليل (ادد - نراري الثالث) ، ويعد بداية أعتلائه العرش (٧٤٤ ق.م) بداية لعصر الامبراطورية الآشورية الثانية ، وكان رجلاً أدارياً من الطراز الأول ، وقائداً عسكرياً فقد أستطاع خلال سنين حكمه حتى عام ٧٠٥ ق.م من القضاء على الفوضى ، والأرتباك السياسي ، والاقتصادي الذي عم بلاد آشور في أعقاب الثورة الأهلية ، وأستطاع ان يعيد للدولة سابق

هيبتها ، وسلطانها ، ويزيد من نفوذها في مختلف الجبهات ، ودخل بلاد بابل ، وقلد نفسه ملكاً عليها .

في عهد شليمنصر الخامس القصير ، قامت حملة عسكرية مهمة على الجبهة الغربية ، وحوصرت مدينة السامرة ، وربما كان قائد الجيش الآشوري سرجون الذي تولى العرش بعده حيث ادعى لنفسه فتح السامرة .

تولى سرجون الحكم عام (٧٢١ ق.م) ، وفي عهده أعلن التمرد ، والعصيان بتحريض من دولة أوراتو ، وبعض مدن بلاد الشام ، ومصر ، وبلاد عيلام إضافة الى القبائل الميديّة ، والكلمديّة . وفي عهده تمكن زعيم قبيلة كلدو ، وهو (مردوخ أيلأ أدينا) من أستيلانه على بابل بمساعدة مملكة عيلام .

أعلى سنحاريب العرش بعد ، والده سرجون ، وذلك في (٧٠٤ ق.م) ، وكانت الامبراطورية الآشورية عند تولية الحكم تنعم باستقرار نسبي بفضل الجهود العسكرية الكبيرة التي بذلها سرجون ، ولاسيما في الجهة الشماليّة ، وأقام سنحاريب بالأضافة الى أنجازته العسكرية الكثيرة ، الكثير من المشاريع العمرانية ، والأروائية في البلاد ، ولكنه تم اغتياله في عام (٦٨١ ق.م) من قبل أحد أبنائه في ظروف غامضة ، وتولى العرش من بعده ابنه أسرحدون .

تولى أسرحدون الحكم عام (٦٦٩ - ٦٨١ ق.م) ، وكانت سياسته الجنوح الى السلم ، وعقد المعاهدات ، والصلح مع جميع الأطراف ، وفي عهده دخلت القوات الآشورية مصر عام ٦٧١ ق.م ، وهزم ملكها (طهراقا) ، وحوصرت مدينة (منفيس) عاصمة مصر السفلى ، ومن ثم محت ، وهرب طهراقا نفسه الى الجنوب ، وأعلن أسرحدون نفسه ملكاً على مصر العليا .

ثم خلفه ابنه (آشور بانيبال) ولياً للعهد على بلاد آشور ، ومع الانتصارات التي حققها آشور بانيبال في بلاد بابل ، وعيلام ، ألا ان الغموض يكتنف الفترة اللاحقة من حكمه ، وحتى نهايته ٦٢٦ ق.م ، وثبت ابنه الثاني (شمش - شم) ولياً للعهد على بابل ، يسانده أخيه (أوكن) ، وبعد وفاته تولى الأخوة العرش في آشور ، وبابل ، ونشبت فيما بعد حرب بين الأخويين ، وأستمرت ثلاث سنوات متتالية أنتهت بأستسلام بابل ، وأنتحار (شمش - شم) .

أما عيلام فكانت الفتن الداخلية قد أنهكتها مما سهل على الجيش الآشوري دخولها ، وتدمير مدنها ، وفتح عاصمتها ، وكانت بذلك نهاية مملكة عيلام .

خلفة على العرش (آشور - أطل - الانبي) ، وقد رافق ذلك ظهور زعيم قوي في بلاد بابل هو نبوبولاصر زعيم الكلميين الذي تمكن من تنصيب نفسه ملكاً على بلاد بابل عام ٦٢٦ ق.م ، وبدأ يعد العدة للقضاء على بلاد آشور ، واتفقت اهدافه مع مصالح الميديين في عهد ملكهم (كيخسرو) ، واتفق الطرفان على تقويض الدولة الآشورية ، والهجوم عليها مما أضطر الآشوريين للتحاليف مع مصر .

لم يكن للأشوريين أي سلطان فعلي على الميديين ، وهم بدورهم لم يتعرضوا للأشوريين ، ولكن الملك (أداد - نيراري) الثالث (٨١٢ - ٧٨٣ ق.م) أول من أشعل نار الحروب بين الطرفين ، وحارب الميديين لرباع مرة في فترة حكمه ، ولكنه كان يخفق في كل مرة في مساعيه لأخضاع الشعب الميدي لسلطان الأمبراطورية الأشورية ، ثم عقبه الملك (تيجلات بلاسر) الرابع (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) وتعزيراً (٤٧) لانتصاره على الميديين صعد فوق جبل (دماوند) الشهير ، ونقش على حجر فوقه ، ووضع على شكل نصب كتب عليه هنا انتصر الملك تيجلات بلاسر على الميديين ، وقتلهم شر قتلة ، وقد جرت المعارك الدامية بينهم الى عهد الملك سرغون حيث خضعت بلاد ميديا لأشور لغاية عهد الأمير (فرائورث) حيث تمكن هذا الامير من تأسيس حكومة مستقلة في منطقة ميديا ٤٨ .

أراد الميديون في عهد (أسرحدون) (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) مع حلفائهم (مائي ، سيثي ، كيشي) من شعوب ، وعشائر كردستان أن ينزلوا ضربة قاضية بالبلاد الأشورية لكن (أسرحون) أستطاع تفادي هذه الضربة ، بفضل دهائه ، ونجاحه في فصل السيثين عن الحلفاء المتألبين عليه وضمهم اليه ، لكن الميديين أخذوا بعد ذلك يتحينون الفرص دائماً للأنقضاض على (أشور) .

مصادر الفصل الثاني

- ١- د . سبايزر ، مصدر سابق ، ص ١٨٩
- ٢- الاستاذ ف . مينورسكي ، قبائل ايران الضائعة المعهد الانثروبولوجي الملكي ١٩٤٩
- ٣- هيردوتس ، التاريخ عند ميديا ، والميديين ، ص ١٢٨
- ٤ - ارشاك سافرستيان ، الكورد وكوردستان لندن مطبعة هارفيل ١٩٤٨ ص ١٦
- ٥ - سي . جي ، ادموندز ترك عرب ، وكورد ، ترجمة جرجيس فتج الله ، ص ١٠
- ٦- الكتاب المقدس العهد الجديد - الترجمة العربية المشتركة من اللغة الاصلية - دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط .
- ٧ - د . زيار ، ايران .. ثورة في انتعاش ص ٩٨
- ٨ - العلامة الوزير محمد أمين زكي (خلاصة تأريخ الكورد وكوردستان) من أقدم العصور التاريخية حتى الآن ط٢ ، ١٩٦١ ص ١٢٤
- ٩ - ابن خلدون في مقدمته ، ص ٢١٣
- ١٠- مينورسكي ، دراسات في تاريخ القفقاس ، لندن - ١٩٥٧ ص ١١٦ وما بعدها
- ١١ - الكتاب المقدس مصدر سابق
- ١٢- براستد جميس هنري ، تاريخ العصور القديمة ، ترجمة داود قربان بيروت ١٩٢٦ ص ١٣٥
- ١٣ - المؤرخ الروسي اباييف ، ص ٦٧
- ١٤ - اباييف ، مصدر سابق ، ص ٨٠
- ١٥ - اباييف ، ص ٨٧
- ١٦ - د . زيار ، مصدر سابق ص ١٠٦
- ١٧- هيردوتس ، مصدر سابق ص ٢٥٤
- ١٨ - اولمستيد ، تاريخ اشور نيوريوك - ١٩٢٨ ص ١١٧
- ١٩ - هيروديت مصدر سابق ٢٥٨
- ٢٠ - كورش ، كوردستان ، موسوعة المعارف البريطانية - ١٩٦٤ ، المجلد ، ١٣ ص ٥٢١
- ٢١- سير . أ . شتاين ، تعليقات حول عبور الاسكندر المقدوني نهر دجلة ، ومعرفة أربلا المجلة الجغرافية تشرين الأول عام ١٩٤٢٢
- ٢٢- د . عبد القادر مارونسي في لقاء مع مجلة (كولان العربي) و(الصوت الآخر) نشر عام ٢٠٠٠

- ٢٣ - نفس المصدر
- ٢٤ - نفس المصدر
- ٢٥ - جاك كاليبو - نيكول كاليبو (مذاهب وملل وأساطير في الشرق الأدنى ، والأوسط) تعريب فارس غصوب ، دار الفارابي بيروت - ١٩٧٧ ، ط١ ، ص ٢٤٣ .
- ٢٦ - ابو بكر النبطي ، تاريخ ايران القديم ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .
- ٢٧ الأستاذ فارس عثمان ، كتاب زرادشت ، والديانة الزرادشتية ، صفحة ١٢ .
- ٢٨ - فارس عثمان ، نفس المصدر ، ص ١٥
- ٢٩ - فارس عثمان ، نفس المصدر ١٨
- ٣٠ - كتاب فجر الاسلام ، ص ١٤٦
- ٣١- د . محمد حرب فرزات ، مدخل إلى تاريخ فارس ، وحضاراتها القديمة قبل الإسلام ، ص ١٠٩ .
- ٣٢ - أ . د فؤاد حمة خورشيد اللغة الكوردية ، والتوزيع الجغرافي لهجاتها ، مطبعة الوسام بغداد - ١٩٨٣ ، ص ٦٣
- ٣٣ - كونتر دشنر ، احفاد صلاح الدين ، ترجمة عبد السلام مصطفى صديق اربيل بلا .
- ت
- ٣٤ مينورسكي ، مصدر سابق ص ٢٥٤
- ٣٥ - مينورسكي نفس المصدر ٢٥٦
- ٣٦ - أ . د فؤاد حمة خورشيد ، اصل الكورد ، ص ١٢٦
- ٣٧ - المحامي كمال محي الدين (مقال في جريدة التأخي حول الأبجدية الكوردية) - العدد (١١ - ٢٤ - ٥٤٥٨)
- ٣٨ - ابو بكر النبطي ، مصدر سابق
- ٣٩ - زرین کوب ، روزبة ، مدخل إيران ، طهران - ١٩٨٩ ، الموسوعة الإسلامية الكبرى ، ج ١٠ ، ص ٥٢٤ ، المشرف العام السيد كاظم الموسوي البجنوري
- ٤٠ - زرین کوب ، نفس المصدر ، ٥٢٥
- ٤١ - مشير الدولة حسن برينا ، مصدر سابق ١٩٨
- ٤٢ - محمد امين زكي ، مصدر سابق ص ١٤٥
- ٤٣ - توماس بوا ، تاريخ الاكراد ، ترجمة محمد تيسير ميرخان ، دار الفكر المعاصر بيروت ص ٢٣١
- ٤٤ - توماس بوا ، نفس المصدر ، ص ٢٣٢
- ٤٥ - توماس بوا ، نفس المصدر ، ص ٢٣٥

الفصل الثالث

بداية نشوء الدولة الميديية :

أرض ميديا (ماد) كانت العبارة التي تقال لتلك الاراضي الجبلية الواقعة بين البحر الابيض المتوسط غرباً ، والأسود شمالاً ، وبحر قزوين شرقاً ، وبحيرتي اورمية ، ووان ، وسلاسل جبال طوروس في آسيا الصغرى ، وجبال آارات ، و قارس ، والسلاسل الجبلية لجبال زاغروس الممتدة من الشمال الى الجنوب لحد السواحل الشمالية للبحر العربي .

كانت تعيش في هذه الاراضي الاقوام الهورية ، اللولوية ، الكوتية ، الكاسية (كاشية ، النابرية) ١ ، الكاردوخية ، العيلامية ، وكان الميديون منظمين في مستوطنات ، وأمارات صغيرة بالقرب منهم ثم اندمجوا معاً كما وضحنا ذلك .

لم يخلف الميديون أية كتابات لسوء الحظ ، وأن وجد فهو في باطن الأرض ، وأول ذكر لهم وجد في أخبار الملك الأشوري (شلمنصر الثالث) لسني (٨٣٣-٨٢٩ - ٨٢٨ ق.م) ، ولعل منطقة بانه الحديثة هي المقصودة بتلك الأخبار ، وهناك عبارة في مدونات شلمنصر الثالث عن وقائع سنة (٨٣٦ ق.م) ٢ تعد أول ذكر للميديين وسوف نأتي على ذكرهم لاحقاً في سنة (٨٣٥ ق.م) صادف الجيش الأشوري في عهد الملك (شلمنصر) الثاني ، العشائر الميديية في الحدود الشرقية لبلاد (آشور) حيث قدمت هذه العشائر بعض الهدايا مثل الذهب ، والفضة ، والأحجار الكريمة ، والمواشي للملك الأشوري الذي اعتبرها فيما بعد فريضة عليهم يؤدها له كل عام .

يقول هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير في تأسيس الامبراطورية الميديية ٣ حيث وقع إختيارهم على رجل كان يتولى منصب العمدة في إحدى القرى الميديية ، وكان إسمه " دياكو " (Diyaoku كيقباد) (٧٢٧ - ٦٧٥ ق . م) ، و كان الأغر يق يُسمونه بـ " ديوكس " Deioces ، ليكون ملكاً عليهم . هذا الإختيار تم نظراً لإشتهار دياكو بالحكمة ، والحكم العادل عند فصل المنازعات ، حيث كانت القبائل الميديية تلجأ إليه لحل مشاكلها الإجتماعية ، والإقتصادية ، وهو أول حاكم ميديي منتخب معروف حيث كان الميديون ينتخبون ملوكهم ، كما يذكر (هيرودتس) إختيار دياكو " أكباتان " لتكون عاصمة لمملكته (وهي مدينة همدان الحالية) وتعني " محل الإجتماع " ، بينما مصادر أخرى تذكر بأنها تقع بالقرب من مدينة همدان الحالية ، حيث قام بتحسينها للتمكن من مقاومة أي غزو أجنبي .

استطاع دياكو ان يضع اللبنة الأولى للدولة الميديية ، من خلال توحيد جميع حكوماتها المحلية والقبائل المتناحرة ضمن بقعة أرض واحدة وواسعة تعيش عليها

القبائل الكوردية (وذلك من سنة ٧٢٧ - ٦٧٥ ق. م) وقد كان يتصف برجاحة العقل ، والرزانة ، ويشار اليه بالبنان في منطقته ، وشهرته ، وسمعتة قد خرجت عن نطاق قريته فكان رجالات الشعب ، وزعمائه يهرعون اليه في الملمات فطبقت شهرته الديار ، وعرف بين قومه بأصالة الرأي ، وحسن التصرف ، وأصبح الرجل الوحيد القادر على توحيد هذه القبائل أو المستوطنات ، وجمع شملهم ، وحل خلافاتهم ، ونزاعاتهم على أسس العدالة الصارمة ، لذلك تم أنتخابه ملكاً عليهم عام (٧٠٠ - ٦٤٧ ق. م) ، وحال أنتخابه جمع المهندسين ، وذوي الخبرة ، والأختصاص من الصناع ، والمهرة ، وأمرهم ببناء مدينة كبيرة متفردة تكون عاصمة للميديين ، وهكذا بدأ العمل الفوري لبناء المدينة ، وقد خلا عهده الزاهر من نار الحروب ، والقتال ، ومما ساعده على بناء المدينة هو انشغال ملك آشور (سنحاريب) في حروبه مع البابليين ، والعيلاميين فلم تتح له الفرصة لعرقلة هذه الجهود ، والوقوف في سبيل اتحاد هذه القبائل وبناء مدينتهم .

حالما دخل الملك (ديوسس) بلاطه الملكي ، عمت الأحتفالات ، وأقيمت الموائد لأيام عديدة في كل أرجاء المدينة ، وبمجرد ما أقيمت سلطته الراسخة ، باشر بممارسة إدارته الفعالة الحازمة ، فأخضع جميع رعاياه لسلطته بوثائق مكتوبة وزعت عليهم ، وهكذا وحد الشعب الكوردي (الميدي) تحت قيادته .

في ٧١٥ ، أو ٧١٦ ق م ، قام روسا ملك أورارتو بثورة في بعض مناطق الإمبراطورية الآشورية ، بمساعدة دياكو ، ولكن سرجون الثاني ، ملك آشور ، قمع المتمردين ، وأسر دياكو مع أسرته ، ونفاه إلى حماه في سوريا ، ويذكر بأنه تم قتله بخديعة ، عندما تم دعوته الى وليمة ، وقتلوه فيها ثم تم احتلال مدينتهم من قبل السيتيين . توفي ديوك بعد ان حكم (٥٣) عاماً (٦٤٨ - ٧٠١) ق.م .

هكذا انتهى عهد الملك ديوك بعد أن وحد القبائل الميذية ، واللولىية ، والميتانية ، والكويتية ، وغيرها من القبائل الكوردية جميعاً في مملكة كوردية وراثية مستقلة حكمت قرناً ، ونصف من الزمان ، وأمتد حكمها من عام ٧٠٠ ق. م ، ولغاية عام ٥٥٠ ق. م حكم خلالها أربعة ملوك ، وأنتظم الميديون في ثلاث مقاطعات هي :

١ - الميديون الجبابرة ، وموقعهم اليوم العراق العجمي .

٢ - ميديو آتروبانينوس (أذربيجان) الحالية (٤)

٣ - ميديو راجس ، وهي المنطقة المحيطة بطهران اليوم .

الملك فرايورتيس ٦٤٧ - ٦٢٥ ق.م

بعد دياكو، تسلم الحكم الملك (خشتاريتي 653- 675) " Khashtariti ق . م) أو " خشتاريتا " Khshatrita باللغة الأكديّة ، بينما يسمّيه المؤرخ اليوناني هيرودوتس ٤ بـ " فراورتيس . " (Phraortes) بدأ حكمه بسياسة المجارة ، والمهادنة مع الحكومة الآشورية ، وهذه السياسة ساعدته في زيادة نفوذه بين الشعوب الآرية ، حيث قدمت شعوب آرية أخرى من الشرق ، وانضمت الى الميديين ، هذا الى جانب خضوع الشعب البارسي الى السلطان الميدي ، فالأقوام البارسية قد نزحت الى المنطقة مع الميديين ، كما ذكرنا ، وسكنت في الصحارى ، والسهول الايرانية ، وكان الميديون يسمونهم بالبارسيين ، ويعني الحد ، أو الطرف ، أو الجانب بالميدية ، ، فقاد خشتاريتي حملة عسكرية لإخضاع مملكتهم ، ونجح في مسعاه ، حيث أخضع الفرس للحكم الميدي ، وبذلك استطاع توحيد الميديين ، والفرس ، وبعض الحكومات الصغيرة الأخرى ، والذي ساعد على ذلك هو إنهماك سرجون في القتال مع قبائل " الأورارتيين " Ourartens و " المعانيين " Manens بحملاته ، وغزواته المستمرة عليهم ، وهذه الحملات قد ساعدت الميديين على التوسّع نحو الغرب ، وإحتواء هؤلاء في مملكتهم الفتية بمساعدة السيميريين Cimmerians - ، كان ذلك في عام ٦٧٠ ق.م. ، كذلك أستطاع الميدييون أن يقيموا اتحاداً ضد آشور من خلال التحالف مع مانا ، والقبائل الكيمرية التي كانت قد قدمت إلى إيران من القفقاز ، هذه التطورات الإيجابية قد قويت من شوكة الميديين ، ودعتهم الى الإمتناع عن دفع الجزية للآشوريين ، التي كانوا يدفعونها مضطرين كل عام خلال فترة زمنية طويلة بل أخذوا يتحرشون بالآشوريين ، فلم يكتفي الملك الميدي فرايورتيس بأن يكون ملكاً للميديين وحدهم فقط ، بل وسع من عملياته العسكرية الى أبعد من ذلك ، وأخذ يعد العدة لغزو الآشوريين ، وهذا ما أغضب الآشوريين ، وما لبثت نيران الحرب أن اندلعت بين الطرفين في عام (٦٢٦) ق.م

جمع الملك فراديورتس جيشاً كبيراً مع حلفائه من (ماني ، سيثي) ومن شعوب ، وعشائر كوردستان ، وعندما وصل الميديون مع حلفائهم إلى حدود نينوى عاصمة آشور ، وحاول مهاجمة الآشوريين الذين كانوا في السابق أسياد آسيا جميعاً ، وعندما لاحظ الحلفاء الجيش اللجب العظيم للآشوريين أرتدوا عن أعقابهم فانسحبوا قبل بدأ المعركة ، وبقي الجيش الميدي وحده في ميدان المعركة فصرخ بهم الملك فرايورتس ، وهو يستل سيفه ، وبريقه كلهيب النار او كضوء الشمس يومض ، تقدموا يا أبطال ميديا .. فإن اجسام هؤلاء الاشوريين ليست حجارة ، ولا حديداً يعز طعنها ، ولا يرهبكم كثرة عددهم ، وعدتهم ، فمشى الميديون

خلفه بسكون مصممين ان يتساندوا في القتال ، وعج تحت ارجلهم غبار عظيم ، وقد هموا بالتلاحم ، ومضى الملك يحثم على القتال ، فأندفعوا الى القتال ، كالامواج تلتف على نفسها ثم تقتحم الشاطيء ، أندفعوا يتقدمهم قادتهم ، وهكذا ذهب الميديون الى القتال صفاً متراصاً خوذة قرب خوذة ، ومجنا حذاء قرب مجن ، كما تتراص الاحجار ليبنى منها البناء ثم اقترب الجيشان ، وأول من رمى رمحه هو ملكهم (فرايورتس) ، وتوهج رمحه كما يتوهج أجمل نجوم السماء طراً ، ولم يخطيء رمحه هدفه حينما سدده الى قلب احد قادة الآشوريين ، وحمل على الآشوريين بكل ما يحمل من بين جنبيه من إقدام ، كصقر يهجم من بين الخمام ، لينشب مخالبه في حمل او ارنب ، وخلفه الميديون ، وهم يتصايحون ، والتقى الجيشان العظيمان ، وانقض احدهما على الاخر بالسيوف ، والرماح ، والفؤوس ، والدرق ، وكان لتصادم حديدات التروس صليل اي صليل ثم تصاعدت الاصوات ، فهنا انين عظيم ممن طرحوا ارضاً ، وهناك صياح المتبارزين ، وجرت بالارض الدماء ، كما تجتمع مياه سيلين .

هكذا تلاقى الجيشان بضجيج عنيف ، وارتباك عظيم ، وكاد النصر أن يكون حليف الميديين لولا هجوم السيثيون (الذين انسحبوا من تحالفهم مع الميديين ، وأنظموا مع الآشوريين) على الميديين في الهجوم عليهم من الخلف ، ومع هذا قاتل الميديون ببسالة ، وعزيمة ، ولكن رمح ما قد أصابت صدر الملك فرايورتس ، وأخترقت ترس صدره ، فماد الزعيم العظيم ، ووقع على الارض كما تقع شجرة من الصنوبر ، او الجوز فوق الهضاب بضربة فاس ، وحاول الميديون إنشاله ، وأنقذوا ملكهم ، ولكن الآشوريين شدوا على الملك الساقط أرضاً ثم احتدم القتال ، واشتد الرعب فاذعن ، ولم يعد احد يميز العظيم من غيره ، وبين الآشوريين ، والميديين لكثرة ما غطاهم من الرماح ، والدماء ، والغبار ، واخيرا تمكن الآشوريين من قتله ، وقاتل الميديون ببسالة أمام القوة الهائلة للآشوريين ، لكن النصر كان حليف الآشوريين بعد مقتل الملك الميدي (فرايورتس) ، وقتل معظم جيشه سنة وكان ذلك سنة (٦٥٣ ق م) بعدها هجم السيثيون على بلاد ميديا وسيطروا عليها ، والذي حدث طبعاً بموافقة آشور على ما يبدو ، وحكموا ميديا لمدة طويلة .

وردت الأخبار بأن " السيثيين ٥ " Scythiques إنطلقوا من القوقاز ، من جنوب روسيا ، ليهاجموا ، ويحطموا آسيا ، ودمروا كل ما إعترض سبيلهم إلى أن وصلوا الى حدود مصر ، كما يدعي هيرودوت بأن السيثيين إستقرّوا في المنطقة لمدة ثمانية ، وعشرين عاماً ، في حين يؤكّد مؤرخون آخرون بأنهم لم يبقوا في المنطقة لأكثر من سبعة أعوام حيث حطمهم الملك الميدي كيخسرو .

حكم فراورتنس (٢٢ سنة) ، وعندما مات خلفه أبنه (سياكزرس - Cyaxares) .

بدايات تأسيس الإمبراطورية الميدية

الملك سياكزرس (٦٢٥ - ٥٨٥ ق.م) :

ثالث حاكم على ميديا ، خلف فرائورت ابنه الصغير وفاكشتر Ouvakhsha أو كياكسارا - كيخسرو (Cyaxares - كياكوس - سياكزرس ٦ ، وكان من أشهر ملوك ميديا حيث تسلم العرش ، وتاج ميديا منذ الصغر ، ورغم سنه الصغير ، إلا انه كان رجلاً في قيادته ورجاحة عقله ، وفي شبابه اصبح قائداً ، وزعيماً محنكاً ، وملكاً عظيماً حازماً ، وذو خصلات ، وسمات قتالية عظيمة فاقت قدرة أبيه ، وجده ، اذ وجه اول اهتمامه بالجيش فأعاد تنظيمه ، وأدخل إصلاحات هامة على أنظمتها العسكرية وفق اسس جديدة ، فهو أول من أسس الجيوش النظامية في بلاد الرافدين ، وآسيا ، بعد ان قسمها الى وحدات ، وكتائب منفصلة (رجال من حملة الرماح ، رجال من حملة السهام ، ومجموعة الخيالة ، والفرسان السريعة العدو ، وأخذ يعد تدريبها ، حتى أصبح من أحسن جيوش العالم ، (كان الميديون يلطخون سهامهم بخليط من الزيت ، والنفط فينطلق السهم فيحرق كل شيء يصيبه) لأنه رأى أن الأستقلال من حكم السيثيين ، والانتصار على الجيش الآشوري المنظم لا يكون على يد جيش من أفراد القبائل ، والعشائر المتباينة العادات ، والتقاليد ، والمختلفة الطباع .

كانت ميديا في عهده واقعه تحت سيطرة السيثيين كما ذكرنا ، و اراد ان يتخلص من حكم ، و سطوة الاشوريين ، والسيثيون الذين آزره الآشوريين في حرب أبيه مع الآشوريين ، وان ينتقم لأبيه ، وجده الذي إغتاله الآشوريين ، فقرر في البداية الانتقام من الدخلاء (السيثيون) ، مستفيداً من الوضع المزري الذي وقع فيه (السيثيون) بعد أن أصبحت دولتهم مترامية الأطراف ، ولا يقوون على إدارتها عندما امتدت حتى فلسطين ، فثارت الشعوب في وجههم فاستفاد كيخسرو من هذا ، وأعلن ثورته عليهم ثم حرر بلاده منهم ، ثم أعد جيشاً لجباً قوياً منظماً ، وهاجم المناطق التي كانت تحت نفوذ الآشوريين ، واستطاع أن يقهر الفرسان الآشوريين ، وأن يسقط جميع المدن الآشورية حتى وصل الى عاصمتهم (نينوى) ، وفيما كان يفرض حصاره على نينوى ، وكادت المدينة أن تسقط بأيدي الميديين جاء الجيش السيثي (Scythian) من جديد بقيادة الملك (مادياس بروتوتيس) لنجدة الآشوريين ، فانسحب الجيش الميدي من حصار نينوى بسبب تدخل السيثيين الذين التفوا حول الميديين وأجبروهم على فك الحصار ، ودارت بينهم معارك كبيرة ، وخسر الميديون المعركة ، وفقدوا سيطرتهم على اسيا الصغرى بعد ذلك اراد السيثيون اخضاع مصر الا انهم دحروا في سوريا من قبل (اسكلون) حليف الملك المصري .

كان تصرف السيثيون كاللصوص ، فعاثوا في البلاد فسادا ، واستولوا على ممتلكات الناس ، وحسب بعض المصادر اليونانية أن ملك الميديين (سياكزرس) أستطاع بحكمته ، ودهانه من استمالة السيثيين ، ودعوة ملكهم ، والكثير من قادتهم الى وليمة كبيرة ، وسقوهم حتى الثمالة ، ومن ثم عملوا بهم السيف قتلاً إنتقاماً لهم ، ولملكهم سيراديوتس لما فعلوه به ، ثم سيطروا على مناطقهم ، وغزوا بعدها البلاد التي كانت تحكمها آشور حتى اذا كانت سنة ٦١٢ قبل الميلاد قام الميديون بالاستيلاء على مدينة اشور ، العاصمة القديمة ، والمركز الديني للآوريين .

كذلك أستطاع البابليون بقيادة نابوبلاصر من طرد الاشوريين من بلاد بابل غير انه لم يكن في مقدورهم دحر الدولة الاشورية ، إلا عند تحالفهم مع الميديين ، وعندما ألقت ميديا بثقلها في الحرب ضد اشور، هنا تشجع البابليون ، وزحفوا شمالاً ، وقاموا بتدمير الكثير من الحاميات الآشورية .

في صباح اليوم التالي قام الدعاة بالاعلان ، والتجمع في ساحة المدينة لأمر هام ، واسرع القوم الى انتجاع اماكنهم كالنحل يدوي من تجاويف الصخور ، يتطاير بعضه هنا ، وبعضه هناك ، هكذا مشت القبائل المختلفة ، وقد كان تبلبلهم عظيماً ، وضجيجهم صاخباً حتى استوجب تدخل الدعاة يهدنون روعهم ، لكي يتمكنوا من الاستماع لخطبة الملك سياكزرس ، واخيرا كف الميديون من صياحهم ، ووقفوا في اماكنهم .

فنهض فيهم الملك سياكزرس ، وقد حمل صولجانه بيده قائلاً : لقد آن الأوان لفتح نينوى ، والأنتقام لملكنا العظيم فرايورتس ، ولمن قتل معه من رجالكم الأبطال ، ولن يصدنا هذه المرة شيء عن فتح المدينة ، قوموا الان وعدوا عدتكم ، وجهزوا رجالكم الى النصر العظيم ، اما اولئك الذين يمتنعون عن القتال ، او يتقاعسون عنها فلن ينجيهم شيء من ان يصبحوا طعاما لكلاب البر ، وطيور السماء في حال فرارهم عن المعركة او تقاعسهم في الذهاب الى القتال ، واعاد الميديون عند ذلك ترديد الصياح ثم اسرعوا اشتاتاً ، بهذا نطق الملك سياكزرس ، وقد حرك قلوب القوم ، وجاشت الجموع كما يجيش البحر عندما تثير امواجه ريح شرقية ، بل كانوا كحقول القمح عصفت بها ريح غربية شديدة .

بعد اعداد الجيش ، والمتطوعيين من الحلفاء من القبائل الكوردية ، نهض بهم الملك من جديد ، وقال لهم : سنمضي غدا في الصباح الباكر الى القتال ، وليشحن كل رجل سيفه جيداً ، وليعد درعه ، وليسخ على جواده بالطعام فقد نقضي النهار بطوله مقاتلين دون اي توقف الى ان ياتي الليل فتفترق الجيوش .

ثم وقف الملك يتضرع الى الاله قائلاً (يا ألهي لا تدع الشمس تغرب ، ويأتي الظلام قبل ان امرغ سقف نينوى بالتراب ، واحرق ابوابه بلهب النار ، وقبل ان امزق درع ملكهم على صدره) .

في العاصمة (أوباتانا) كائن النسوة المسنات قد ذهبن الى ضريح الاله يرفعن ايدهن يتذرعن بالدعاء بالنصر لابنائهم ، والزوجات جزعات قلقات على أزواجهن بعد سماعهن خبر الزحف على نينوى .

دعا الملك القادة الى ، وليمة كبيرة ، ولما انتهت الوليمة ، أخذ بعدها بالتشاور مع القادة يضعون خطط الحرب ، ومحاور الهجوم ، وفي الصباح الباكر نظم الزعماء جيوشهم للقتال محرضين أيهم على القتال حتى اثاروا حب القتال في كل قلب ، ولم يبق فيهم رجل واحد منهم إلا وهو يفضل الحرب على الرجوع الى وطنه ، واهله ، وسطع نور اسلحتهم ، ودروعهم ، وهم يتاهبون لميدان القتال ، وكاسراب لاعداد لها هكذا تكاثف الميديون محتشدين للقتال .

سبق ان عقد ملك ميديا محالفة مع ملك بابل (نابو بولاصر) لقيام جبهة مترابطة ضد العدو المشترك آشور ، وفي طريقه صوب نينوى العاصمة الآشورية استولى على مدينة (ناربيخري) ثم أتجه نحو الجنوب حسب خطة موضوعة ليتصل بالجيش البابلي ، وفي طريقه استولى أيضاً على مدينة (آشور) الشرفاء حالياً عاصمة آشور القديمة ، وقد دمرها تدميراً ، وما أن تم الاستيلاء عليها ، وفرغ الجيش الميدي من تدميرها حتى كان ملك بابل قد وصل حيث عقد مع ملك ميديا سياكزرس عند أسوار آشور معاهدة جديدة عينت بموجبها الحدود المستقبلية بين دولتيهما ، ثم تم الاتفاق على خطة الحرب ، فكان على الجيش الميدي أولاً تصفية الجيوب ، والحاميات الآشورية ثم مهاجمة العاصمة نينوى من الأعلى ، والتقدم نحوها ، وعلى البابليين الهجوم من الأسفل ، وعلى أن تكون الغنائم للبابليين بينما الإدارة السياسية للميديين فكان لهما ذلك بعد الحرب ، بينما ذهب الجيش الميدي صوب مدينة نينوى عاصمة الآشوريين ، سبقته مفرزة للتجسس ، والاستطلاع ، وجمع المعلومات ، والتأكد من خلوا الطريق من الكمائن ، وخيم الجيش ليلة في سهل نينوى ، وفي اليوم التالي كان الفرسان في الصف الأول ، والصف الثاني المشاة أصحاب الرماح ، والسيوف ، والصف الثالث الرماة حملة السهام ، والنبل ، وكان الفرسان يقفون في الامام ، والى الجانبين لتمكين الرماة من مزاوله اعمالهم ، وللقيام بحماية الجانبين ، وكانت تعليمات الملك سياكزرس ان يتقدموا الى المعركة سرية بعد اخرى ، ومن عدة محاور .

وقبل ان يصل الجيش البابلي التقى الجيشان العظيمان (الميدي ، الآشوري) في سهل نينوى ، والتحما معاً ، ودارت رحى الحرب ، وهي تطحن الرجال ، والحرب يستعر

اوارها ، وامعن المديين قتلاً في صفوف الاشوريين ، بالرماح الطويلة ذات الحدين ، والمبارزة بالسيوف ، والقتال بالفؤوس ، وهي تخترق الصدور ، والرؤوس بين الطرفين ، وكم من سلاح بهي طرح على الأرض محطماً ، والدماء تسيل منها ، والقي الملك سياكزرس الشجاعة في قلوب رجال ميديا ، وجال في المقدمة مبتهجا بقوته ، وما منهم من رمى بالسهم ، او النشابة من بعيد بل حاربوا رجلا الى رجل يحملون الفؤوس ، والسيوف ، والرماح ، وتدفق منها الدماء ، ابلى الكورد بلاءً فاق حدود التصور ، وكان هؤلاء الابطال يقدرون كبر الجيش الأشوريين ، وعظمتهم ، وعزيمتهم لذلك قرروا خوض المعركة بعزيمة اشد ، وببسالة أكبر لاتعرف الرحمة ، وعندما راي الاشوريين باس الكورد خارت عزيمتهم نوعاً ما ، وانقضى نهار ذلك اليوم ، والقتال ما يزال حامي الوطيس ، وأستمرت المعركة حتى المساء ، حيث انفصل الجيشان نتيجة الظلام ، وهما يستعدان لمواصلة القتال في اليوم الثاني ، ولا ريب في ان اربطة الدروع أبتلت ، واليد التي تحمل الرمح أنهكها الاعياء ، والخيل التي تجر العربات تسبح عرقا ، ولم يبان النصر الى اي جهة تذكر بعد . تفقد الطرفان ساحة المعركة ، فنقلت مفارز الطرفين القتلى ، والجرحى الى الخلف ، ونقلوا الجرحى لتقوم النساء بتمريضهم .

في هذه الأثناء وصلت للاشوريين نجدة من القبائل الموالية لهم فأشتركوا في القتال الا ان ذلك لم يؤثر في معنويات الميديين المصممين على النصر ، بعد أن أخذ سياكزرس يشجع الجنود ، ويحرضهم على مواصلة القتال ببسالة أكبر في القتال قائلاً لهم : الأن أصبح النصر حليف الفريق الذي يصبر فاصبروا ، وأحملوا فأن النصر مع الصابرين ، فزاد حماسهم ، وتقدموا بهجوم كاسح مزق صفوف الاشوريين شر ممزق ، واشتد القتال عند ذلك بدأت صفوف الأشوريين تضرب ، ولاسيما بالأجنحة التي أخذت السرايا تهاجمهم من كل صوب ، ومكان إذ تراجعت الى الخلف مبعثرة ، وبقي القلب صامداً ، او وحده يقاتل الا ان الميديين شددوا عليهم الخناق ، وأحدثوا فيها خرقا حتى وصلوا قرب قائدهم الذي بدأ بالتراجع نحو الحصن ، وأستمرت المعركة حتى المساء ثم عاد الفريقان الى مواقعهما يستعدان لمعركة اليوم الثالث .

لقد أيقن سياكزرس ان عدوه بدأ ينهار شيئاً فشيئاً ، وأن يوم الغد سيكون حاسماً ولا بد من الاستيلاء على نينوى مهما كلفه الأمر ، على الرغم من أنها أمتنعت عليه في هجومه في اليوم الاول ، والثاني .

في صباح اليوم الثالث اخذ الميديون طعامهم على عجل ، وشكوا في السلاح ، وكذلك تهيأ الاشوريين في مدينتهم ، بعد توحيد صفوفهم ، ولم يكونوا اقل من الميديين رغبة في القتال دفاعاً عن مجدهم ، ومدينتهم ناهيك عن حاجة الدفاع عن الزوج ، والولد ، وفتحت الابواب فاسرعوا منها الى الامام ، وشن الميديون هجوماً عاتياً عليهم

، والتحم الجيشان من جديد ترساً لترس ، ورمحاً لرمح ، وتقارعت حديدات التروس برنين عظيم ، وتقدم النهار بالحرب ، ولم تظهر الغلبة لاحد الفريقين حتى كان الظهر ، بان على الآشوريين الأنكسار ، والضعف ، والهوان بعد ان قتل معظم قادتهم الكبار ، وصرخ الملك سياكزرس لقد بان نصركم ايها الميديون الأبطال فاحملوا عليهم حملة رجل واحد ، وانتقموا لملككم ، وابائكم ، واخوتكم الذين أمعنوا في قتلهم شر قتلة ، وهكذا اثار الحماسة في صدورهم ، وقذف هو بنفسه أولاً في المعركة ، فارغى ، وازبد ، وفتك بعدد من رجال الآشوريين الأبطال ، وتكاتف الميدون كالغيوم الدكناء ، وشدوا على الآشوريين الذين بانت هزيمتهم ، وأخذوا يتراجعون الى الوراء باتجاه الأسوار ، وفي المقابل كان ملك الآشوريين يتربح المعركة بقلق من اعلى اسوار المدينة ، فصرخ بجنده قائلاً لهم : اتركوا كوات الابواب مفتوحة في ايديكم لكي يتمكن الجيش من الدخول ، وفر الآشوريين الى الاسوار ، وهم يلوذون الى حماها ، وكما يتعقب الأسد فريسته تعقب الميدون الآشوريين ، وهم يفرون ، وأمعنوا في أقبيتهم ضرباً ، وهم يفرون ، والآشوريين يهلكون عند الاسوار ، وبدأوا يتوارون مختبئين خلف الأسوار كما تختبئ الكلاب امام الأسد ، وكاد الميديون يدخلون المدينة لولا أسبتسال الآشوريين في الدفاع عن المدينة ، وتجمعهم عند باب المدينة حتى صرخ بهم ملكهم اسرعوا في الدخول ، وأغلقوا ابواب المدينة بسرعة ، فأغلقت الأبواب بسرعة ، وبقي من بقي منهم خارج الأسوار فتم قتلهم جميعاً ، وكر المديين راجعين ، والجدل ملء نفوسهم نتيجة عدم دخولهم المدينة ، وحسم المعركة لصالحهم .

كانت هزيمة الآشوريين منكرة ، حجزوا معها في المدينة كقطيع من النعاج ، وهنا وصل الجيش البابلي ، وفرضوا الحصار على المدينة المحصنة ، وكان الآشوريين يخرجون من أسوار المدينة ، ويغيرون على المديين في بين فينة ، وأخرى في محاولات يائسة لخلق الجزع ، والقلق في صفوف قوات الميديين فتحدث معركة سريعة بين الطرفين ثم يهرعون الى اسوارهم بعد ترك قتلاهم خلفهم .

فرض الحصار على العاصمة لمدة ثلاثة أشهر ، لم تستسلم خلالها المدينة ، وكلما اقتربت كتيبة من الحصن كان الآشوريين يرمونهم بوابل من النبل من فوق اسواره ، فقام الملك الميدي بمناورة لجر الآشوريين خارج الأسوار حيث قام بتجهيز كتيبة من الفرسان بكامل سلاحها ، وأرسلها لمهاجمة الحصن ، وكان عليها استخدام النشاب ، وتظاهر انها عازمة على اقتحام الاسوار ليغضبوا الآشوريين ، ويستفزروهم للخروج من الحصن للمناجزة بالسيوف ، فأذا ما خرجوا تتظاهر الكتيبة بالهزيمة لتجر الجيش البابلي بعيداً عن الأسوار، وفعلاً خرجت كتيبة من فرسان الآشوريين ، وأشتبكوا معهم ،

وتظاهر المديين بالهزيمة ، لكن الآشوريين أدركوا هذه المكيدة ، وسرعان ما عادوا الى داخل الحصن .

أخيراً جزع الملك سياكزرس ، وقرر فتح المدينة باي صورة كانت ، فنهض بقومه قائلاً لهم : ها قد مضت علينا ثلاثة اشهر ، ونحن نحاصر هذه المدينة اللعينة ، وقد تعفنا خلالها في العراء ، ثم هناك في الحمى نساءنا ، واطفالنا ينتظرون عودتنا .. حقا ان لدينا هنا من العمل ما يجعل قلوبنا تحن شوقاً الى العودة الى ديارنا منتصرين غانمين ، فان الرجل منا لياخذ منه الاعياء اذا ما ابعد عن زوجه ، وأولاده شهراً واحداً في هذا الصيف اللاهب ، فما بالك بثلاثة أشهر ، وقد شط بنا المقام عن ارض الوطن فكل امننا الان يقوم على ما نبديه من باس ، وشجاعة فائقة لا على نكوصنا متراجعين ، وعودتنا الى ديارنا خائبين بعد هذه التضحيات التي اعطيناها من رجالنا الأعراف في المعارك السابقة .. ثم ماذا نقول لعوائل قتلانا اذا رجعنا خائبين .. ؟ كلا لن نعود الى ديارنا قبل تحقيق النصر النهائي ، وأسترجاع أملاك أجدادنا ، وعودتها الى حضيرة حكمنا ، ولذعت هذه الكلمات قلوب المقاتلين ، فهتفوا جميعاً شوقاً للقتال ، وأخيراً قال الملك أضربوا أسوار المدينة المنيعه بالمنجيق ، ولا بد ان نحدث هذه المرة فيها ثغرة للنفوذ منها الى داخل المدينة ، وننهي هذا الموضوع .

دك المدينة بالمنجيق ، ولكن كانت أسوارها منيعه ، ولما رأى أن الاستيلاء على المدينة ما زال صعب المنال أخذ في تكوين جبهة قوية يستطيع بها قهرها فبدأ يساوم بعض القبائل السيثية التي كانت تشد أزر الآشوريين ، وتقف الى جانبهم ، ونجح في اغرائهم بنهب ، وسلب الغنائم فتألبوا على الآشوريين ، وهرعوا اليه معلنين انضمامهم الى جانبه كما أنضم اليه جيش ، بابل تنفيذاً للاتفاقية التي ابرمت بينهما ، وما أن أهل شهر آب حتى بدأت نينوى تتعرض لاعنف هجوم شنه عليها الحلفاء ، ورغم انها أمتنعت على هذا الجيش العرمرم في هجومين متتاليين ، إلا انها لم تستطع الحفاظ على صمودها ، واضطرت مرغمة الى التسليم بعد ان دك الحلفاء حصونها ، وفتحوا فيها ثغرة نفذوا من خلالها الى داخل المدينة ، وهكذا سقطت عاصمة الامبراطورية الآشورية في أيدي الحلفاء شهر آب عام (٦١٢) ق.م .

لم يطق الملك الآشوري (شن شار ايشكوم) ٨ ابن (آشور بانيبال) صبراً على هذه الهزيمة النكراء ، وفقدان قلب المملكة النابض فالقى بنفسه في نار قصره المحترق ، واحرق نفسه ، ومن معه من خدم ، وحشم بالنار .

يصف احد المؤرخين ٩ هذا الهجوم وكما يلي (احاط الميديون بأسوار مدينة نينوى ، وحدثوا فيها فيضاناً بتحويل مجرى نهر (الخوصر) اليها ، واستطاعوا بذلك ان يجلبوا آلات الحصار ، والعتاد على الاكلاك الضحمة من منطقة زاخو الحالية عن طريق نهر

الخابور ، وايصالها الى نهر دجلة ، وبعدها الى نهر الخوصر ، واستعملت هذه الالات ، والعتاد في هدم جزء من سور المدينة العاصي ، ودخلوا المدينة بعد ان دافع الاشوريين عنها دفاعا مستميتاً ، ومات الملك الاشوري ، وسط النيران التي نشبت في قصره ، والتهمت المدينة بأكملها .

قسمت اراضي الامبراطورية الاشورية ، واسيا الصغرى بين الميدين ، والبابليين فكان حصة الميدين كل البلاد القريبة من (ميديا) وشمال سوريا ، ودجلة العليا ، والفرات ، وامتدت حدودهم الى البحر الاسود ١٠٠ اما البابليون فقد استحوذوا على جنوب سوريا ، وجنوب بلاد الرافدين .

سقطت الدولة الآشورية التي دوخت المنطقة ، واهلكت الحرث ، والنسل ، وتحققت نبوة ناحوم احد أنبياء بني إسرائيل حيث قال أيام مجد الدولة الآشورية بان تلك الدولة التي تتوجه نحوها الشعوب ، والدول بالخضوع ستزول ، وان عورتها ستتكشف ، وان كل من يسمع خبرها سيصفق فرحاً ((فمن ذا الذي لم يلحقه شرك المستطير على الدوام ؟!)) .

تجلت في معركة نينوى عظمة الروح المعنوية التي غرسها الملك في نفوس جيشه ، ناهيك عن التفوق بالقيادات ، والمعنويات الذي كان ، وما يزال من العوامل المهمة التي تتوقف عليها نتيجة الحروب ، فبعد أن فرغ جيش الحلفاء من نهب المدينة ، وتدميرها أخذ الجيش البابلي يطارد قسماً من الاشوريين الهاربين من المدينة ، ويتعقب آثارهم حتى لجأت جماعة منهم بقيادة (آشور وباليت) حليف الفرعون المصري (بسامتيخ) الى حران (أورفة) حيث وضعوا هناك أساس حكومة جديدة لكن سياكزرس أبى عليهم الاستقرار في اي مكان ، وآل على نفسه إلا أن يشئت شملهم ، ويقض مضاجعهم ، وقد وافته الفرصة عندما استنجد به ملك بابل (نابولاصر) ليلحق به ، ويمد اليه يد العون ، والنجدة في منطقة حران لأنضمام الجيش المصري الى الجيش الآشوري فخف اليه على عجل ، وانضم اليه الجيش البابلي فاستطاع ، وبمهارته الفائقة ، وخطته الحربية السديدة الاستيلاء على حران آخر حصون الآشوريين ، فانسحبوا منها الى منطقة كركميش ، حيث وقعت معركة كبرى بين الطرفين فكان الانتصار الحاسم فيها للميديين ، والبابليين ، وبذلك تم انهاء اسطورة الامبراطورية الآشورية العظيمة ، وأختفت الامبراطورية الاشورية سنة (٦١٢ ق.م) الى الابد .

تحققت آمال الملك سياكزرس فقفل راجعاً الى بلاده مكللاً بأكاليل النصر مع جيشه المظفر ، والثروة الطائلة التي تركها الاشوريين ، بعد ان أخضع جميع مملكة آشور لحكمه باستثناء المقاطعات التي خضعت للبابليين ، فوضع بذلك أساس الامبراطورية الميديية الكبرى سنة (٦١٢ ق.م) حيث بلغت هذه الامبراطورية أوج مجدها في عهده الزاهر ، وأمتدت فيه حدودها

من (باخترينه - بخاري) شرقاً ، والى نهر (قزل أيرماق) غرباً ، ومن بحر قزوين شمالاً الى الخليج جنوباً ثم وصلوا الى الحدود القريبة من مصر .

كما أصبحت الامبراطورية الميديّة قوية جداً في عهد كيخسرو الى درجة أصبحت مرهوبة الجانب ، وساهم ذلك في نشر الأمن في منطقة ميزوبوتاميا ، وحولها ، وعاشت الشعوب في أمن ، واستقرار بعيدين عن اعتداءات الآشوريين إذ يقول المؤرخون إن حرب ميديا ضد آشور لم تكن للأطماع ، أو التوسع ، وإنما هي حرب انتقام ، ودفع الاعتداءات ، وإن تلك الحرب أو ذلك النصر جاء لمصلحة جميع شعوب الشرق الأوسط حينذاك إذ تميز الآشوريون بروح العنجهية ، والعنف ، والقتل ، والدمار لكل شعوب المنطقة ، وكانوا قساة جداً ، وتسبب ذلك في وصولهم الى نهايتهم إذ كانوا هكذا حتى مع أنفسهم حيث خلق المرء لديهم للحرب فقط ، ولم تكن للنساء قيمة لديهم ، والتي لم تلد الصبيان لا قيمة لها ، والصبي المصاب بعاهة دائمة يكون في طي الإهمال ، وكثيراً ما كانوا يتخلصون منه .

أسفر نجاح التحالف بي الميديين ، والبابليين في تطويق ، وأسقاط الدولة الآشورية ، وأزلتها من المسرح السياسي عن حدوث مصاهرة بين العائلتين الملكيتين الميديّة ، والبابليّة ، إذ زوج الملك الميدي سيكازرس أبنته (أماتيس Amytis) الى نبوخذ نصر ابن الملك البابلي نابو بلاصر ، وبنى لها نبوخذ نصر الجنائن المعلقة في منطقة بابل لتوفير الأجواء الجبلية للملكة الكوردية التي أحبها كثيراً .

كما أصبحت ميديا دولة قوية تخافها الدول المجاورة ، وخاصة البابليون حيث قام ملكهم (نبوخذ نصر) ببناء سد ضخم ، وتحصينات كبيرة على طول الحدود الشماليّة ، وقد عرف بالسد (المادي) نسبة الى الميديين ، ولحماية بابل من اي هجوم ميدي من الشمال .

إلا ان القدر أبى إلا أن يمضي كل عهد هذا الملك العظيم إلا في ميادين القتال ، إذ ما يخرج من حرب إلا ليخوض غمار حرب أخرى ، وكانت الحروب التالية بينه ، وبين الليديين التي تباينت الروايات في استقصاء أسبابها ، فتقول احدى الروايات أن بعض المجرمين من السيثيين قد لجأوا الى الحكومة الليديّة ، واعتصموا بحماها ، ولما طالبت الحكومة الميديّة بردهم اليها رفضت الحكومة الليديّة تسليمهم لها فكانت هذه هي الشرارة الأولى التي أوقدت نيران الحرب بين الحكومتين ، ونجد رواية أخرى تعزو اسباب الحرب الى أن الحكومة الليديّة قد تملكها الطمع في المستعمرات الآشورية التي كانت من نصيب الحكومة الميديّة بعد الاستيلاء على نينوى مما أدى الى اندلاع نيران الحرب بين الميديين " والمملكة الليديّة " Lydie ، وكانت عاصمتها " سارد Sarde" ، والتحم الجيشان على شاطئ نهر (هالياس) ١٢ ، ودارت رحى معركة

حامية الوطيس ، وطويلة المدى في مطلع عام (٥٩١) ق.م ، ولم تقف رحاها الا يوم (٢٨ مايو من عام ٥٨٥) ق.م ، وذلك بمعجزة الـهية فقد حدث خسوف كلي للشمس طيلة هذا اليوم ، فأيقن الطرفان أن هذه الظاهرة العجيبة ان هي إلا علامة من علام الغضب الالهي فرغب كل منهما بينه ، وبين نفسه في وضع حد لسفك الدماء دون طائل ، وما ان عرض نبوخذ نصر ملك بابل ، و(سينيس) ملك كيليكيا ، وساطتهما لانهاء القتال ، " حتى أبرم " كيخسرو " معاهدة سلام مع ملك الليديين " آليات " Alyates ، ووفقاً لهذه المعاهدة ، تم تأشير مجرى نهر " هاليس " (Kizil-Irmak) Halys (قزل إيرماق الحالية) الذي يصب في البحر الأسود ، والواقع قرب مدينة أنقرة الحالية ، كحدود بين المملكتين .

ثم عزز هذا الصلح ، وتوج بمصاهرة ملكية بين الاسرتين المالكتين فتزوج استياغ نجل سياكزررس من آريانا او (آرينيس) كريمة ملك ليديا في سنة ٥٨٥ ق.م .
تميزت العلاقات بين الممالك الثلاث ، الميدية ، والبابلية ، والليدية في هذه الفترة بالهدوء ، والسلام في عهد الملك " كيخسرو " الذي إستمر حتى وفاته في عام ٥٨٥ قبل الميلاد ، وخلفه ابنه إيشتوفيغو (في اليونانية أستافاغيس - أستياغ) (٥٨٥ ق.م). والذي دام حكمه ٣٥ - ٤٠ سنة .

الملك أستياغس ٥٨٥ - ٥٥٠ ق.م

الملك (استياغس) "Astyages" ويسميه البابليون بـ (اشتوميكو) ١٣ كان دكتاتوراً ظالماً ، وقاسياً على رعيته ، وعلى الشعوب المنضوية تحت لواء حكمه ، ولم يكن بقوة سلفه ، وشخصيتهم السياسية ، وأصبحت البلاد في عهده ضعيفة إذ أصبح القانون في البلاد بيد الأقوياء ، والمتنفذين ، والإقطاعيين ، فانقسم المجتمع إلى طبقتين رئيسيتين الأشراف ، والأغنياء ، وإلى جانبهم الشريحة الاجتماعية الواسعة من الطبقة العامة الفقيرة ، ودبت الفوضى في صفوف الجيش وزاد الطين بلة عدم ولائهم له ، وكان لليهود يد حينذاك في إضعاف القصر الملكي في السيطرة على البلاد

لم يخلف الملك استياغ ولداً (ذكرأ) ، ليكون خلفاً له في الحكم من بعده ، وفي احدى الليالي ، حلم ان ابنته ماندانة قد جلبت مياه كثيرة ملئت بها المدينة ، واغرقت كل آسيا ، فنهض مفزوعاً من هذا الكابوس المرعب ، وأرسل في الحال في طلب العرافين ، والسحرة ، ومفسري الأحلام لتفسير رؤياه ، واجمع العرافين على انه سيخرج من صلبها رجلاً ما ، ويزيل حكمه ، ومملكته ، وقد ذعر الملك لهذا التفسير ، وعلى خلفية هذه الرؤيا ، وتفسير العرافيين منع عليها الزواج من اي ميدي مرموق خشية زوال حكمه على يد أحدهم ١٤ .

كان من عادة بلاد ميديا إنهم يحتفلون سنوياً بذكرى إنتصارهم على الأشوريين ، وفتح نينوى ، ويدعون لها الملوك ، والأمراء من كل البلدان والأمصار ، ويبدأ في القصر الملكي احتفال راقص عظيم ، ناهيك عن الأحتفالات الشعبية في كل مكان من الأمبراطورية ، ولما كانت الأمبراطورية الميديية قوية ، ومترامية الأطراف فكان يغشاها الجميع ، وبالأخص البابليين ، والمصريين ، وكانوا يتقربون الى الملوك الميديين من خلال المصاهرة بينهم ، وبينها ، وتقدم لأبنته ماندانة الكثيرين منهم لكن الملك كان يرفض باستمرار .

كان من ضمن الحضور الأمير كميوجية (قمييز) أمير منطقة أنشان في تيريز الفارسية ، ويقال في لورستان الحالية وكانت منضوية تحت لواء الأمبراطورية الميديية ، فبعد سقوط الدولة العيلامية ، استطاع احد رجال قبيلة (باسركاوا الأخمينية) الأقوياء هو (تايسس بن هاخامنيش) من السيطرة على دويلة (أنشان) وتأسيس حكومة جديدة باسم الحكومة الأخمينية واصبحت فيما بعد تابعة للإمبراطورية الميديية ، خلف (تايسس) ١٥ ولدين حكما في جنوب إيران ، هما كورش الأول ، وأريارمانا ، وخلف كورش الاول قمييز هذا .

لاحظ قمييز الأميرة الجميلة (ماندانة) فأخذ يلاحقها بنظره ، وبما إنه كان شاباً يافعاً وسيم الطلعة أستالمت هي بدورها اليه ، واستلمت هذه الإشارة ، واستحسنتها ، وفي ملعب المصارعة كانت تقام مباريات للمصارعة بين ابطال من ميديا ، ومن البلدان الأخرى ، وكانت اللعاب ودية

اي لاتنتهي بالقتل كما كان يفعل المصارعون الرومان فيما بعد ، بل كانت تنتهي بوقع احدهما على الأرض او تجريده من سلاحه ، كانت الاميرة الجميلة جالسة بجوار ابيها ، والامير يلاحقها بنظراته من مكانه بين الأمراء ، حتى ابتسمت له ، وهذا دليل على موافقتها به في حال طلب يدها من ابيه فأبتسم بدوره فرحاً من تجاوبها معه ، وهذا ما دفعه ليتجراً ، ويطلب يدها من ابيها بعد الانتهاء من مراسيم الأحتفالات ، ولم يصدق الأمير قمييز موافقة أبيها على طلبه ، لكونه لا تجري في عروقه الدماء الملكية ، بل كان من الطبقة الوسطى ، حيث كان الأمير (قمييز بن سيروس الاول) رئيس فخذ قبيلة الأخمينيين ، وأمير على منطقة صغيرة (أنشان) ، وهو من دمج (بقايا الحكومة العيلامية بعد سقوطها على يد الأشوريين ، مع المسور البارسية) بأقليم واحد هو (أقليم بارس) الذي تحول فيما بعد الى بلاد فارس ، وكان من عادة الملوك ان لايزوجوا لابناءهم ، وبناتهم إلا من الأمراء أبناء الملوك ، لكن كان للملك الميدي رأي آخر ، فلقد وجد أن ابعادها بهذا الزواج حل منطقي ، وأفضل من حرمانها من الزواج نهائياً ، وهي شابة جميلة ، ناهيك أن أصل السلالة الاخمينية (النخامنسية) هي من سلالة عيلامية أي من جذور كوردية ، وهو كان يحبذ تزويجها من رجل كوردي ليبقى الدم الكوردي نقياً .

يذكر " هيرودوت " في كتابه الأول (Clio 107) ، أنه بعد تفسير الكهنة "Les Mages" لرؤيا أستياخ بخصوص كريمته ماندانه "Mandane" ، فضل تزويجها من " قمييز الفارسي " بدلاً من أحد النبلاء الميديين ، لكي يقضي على أية محاولة يقوم بها نبلاء قومه لإزاحته عن الحكم في المستقبل . يتابع " هيرودوتس " حديثه بأن " ماندانه " أنجبت ولداً من قمييز أسمته " كوروش " . "Kurush" عاش كوروش في كنف الشعب الميدي و تلقى تربيته بينهم . عندما أصبح كوروش بالغاً ، استطاع الإطاحة بجده " أستياخ " ، بفضل أحد القادة الميديين الذي كان يُدعى " هارباج " Harpage ، ونصب نفسه ملكاً على الميديين ، والفرس .

من جهة أخرى، فإن المؤرخ " ستيسياس " Stesias (١٦) يذكر بأنه لم تكن هناك أية رابطة عائلية تربط كوروش بالملك الميدي. أما المؤرخ " كزينفون " Xenophon (١٧) فإن له رأي مشابه لرأي " هيرودوت " في هذه المسألة ، قائلاً بأن كوروش كان ابن " ماندانه " الميديية ، و قمييز الفارسي ، ويضيف بأنه تربى ، وأقام صباه بين الميديين في كنف جده أستياخ إلى أن بلغ سنّ الرشد .

كما ان التنقيبات الأثرية المكتشفة تدل بأن كوروش كان ينتمي إلى العائلة الأخمينية ، وأن والده كان ملكاً حيث يمكن قراءة الكتابة التي هي باللغة المسمارية على احد الألواح " ابن قمييز ، الملك القوي " ، يتبعه " أنا كوروش ، الملك الأخميني " وهناك إشارة أيضاً إلى أنه كان ملكاً على مملكة " الشوش " Susiane بعد إطاحته بـ " أستياخ " و إسقاط لإمبراطورية الميديية .

جرى مراسم الزواج في حفل مهيب ، وأحتفالات جماهيرية واسعة ، ورحلت الأميرة مع زوجها الى أنشان ، وبعد عام وضعت مندانة طفلها في ميديا في قصر ابياها ، وكان ذكراً أسموه (سيروس ، قورش ، كورش الكبير) شاهد الملك حفيده لأول مرة ، فوجده كما وصفه له العرافين ، فعلم أن رؤياه كان صحيحاً ، وأن زوال حكمه ، ومملكته العظيمة سيكون على يد هذا الطفل ، فأخذ يكيد له ، فأمر بأختطافه من أمه سراً من القصر ، وعهد به الى احد أقاربه ، وأمين سره (هارباكوس) ٦٠ ، وأمره بقتله ، وحرقة كيفما يشاء ، والتخلص منه بعيداً عن القصر .

حمل هارباكوس الطفل المقمط الى بيته على مضض ، وهو حائر من طلب الملك لقتله هذا الطفل البريء ، فقال في سره سوف لن اقبل ، ولن انفذ ما امر به الملك ، ولن أطخ يدي بهذه القتلة الشنيعة ، فالطفل تربطني به صلة رحم ، ورابطة الدم ، وان الملك رجل كبيرة ، ومندانة الوريثة الشرعية من بعده للحكم ، وسوف تنتقم مني انتقاماً شنيعاً حال علمها ، ففكر في خطة للتخلص من هذا الأمر فارسل الجند لأحضار ميتراداتس احد رعاة الملك ، وكان يعلم بانه يرعى قطعانه في مناطق بعيدة عن المدينة موحشة ، ومليئة بالحيوانات الموحشة ، فلربما يكون هذا مناسباً لتنفيذ الخطة فجاءوا بميتراداتس مفزوعاً ، وطلب منه ان يرمي الطفل في منطقة موحشة لغرض ان تاكله الحيوانات ، او قتله بأي طريقة كانت بعيداً عن المدينة ، وأفهمه بان طلبه هذا جاء بناءً على أوامر الملك ، وسوف يعاقبك اشد العقاب ان لم تنفذ ، وقال له الويل للعوام من غضب الملوك .

كانت زوجة متراداتس المدعوة سباكو حامل في شهرها الأخير ، وفي حالة المغاض ، وبعد ان جاء جند الملك ، واقتادوا زوجها بطريقة مخيفة ، فزعت ، وخشيت على زوجها ، فأستفسرت من احد الجنود عن سر هذا الأستدعاء ، وزوجها من خدم الملك ، فلم يجب الجندي ، وعندما ألحت ، وحاولت منعهم من أقتياده ، دفعها احد الجنود الغلاض فسقطت على الأرض تتوجع بعد أن ضنت انها لن ترى بعدها زوجها ، ونتيجة الهلع ، والفرع وسقوطها على الأرض سقط منها جنينه ، ومات .

حمل ميتراداتس الطفل مجبراً خوفاً على حياته أو فقدان عمله ، وهو يردد الويل للعوام من غضب الملوك ، وهو في حيرة من أمره ، ترى كيف يمكنه قتل طفل بريء ، وعاد به الى كوخه ، فحال عودته وجد الراعي زوجته طريحة الفراش ، وهي تبكي ، فسألها عن السبب فأجابت ان الجنين قد سقط منها من خوفها عليها ، ومات ، وسألته عن طلب أستدعائه على عجل ، فأجابها لغرض مصيبة أخرى سوف تحل علينا ، لتصبح مصيبتنا مصيبتان ، فسألته عن تلك المصيبة ، ففتح الراعي السلة التي كان يحملها فأندهشت المرأة حينما وجدت طفل يرفس ، داخل السلة بعد ان نهض من نومه ، وهو يلبس الملابس الثمينة المرصعة بالجواهر ، والذهب ، فأندهشت وقالت وما هذا ، فأجاب الراعي هذا هو المصيبة الثانية ، انه طفل مدانة ابنة الملك ، وامروني ان اقتله .

فأجابت المرأة مندهشة ، ولماذا يقتلونه ، فأجابها الزوج لا أعرف ، هذا سر بينهم حالما انهى الرجل كلامه نهضت المرأة فأحتظنت الطفل ، واجهشت بالبكاء ، وقالت ويحك كيف يمكنك قتل طفل ، فاجاب الرجل بان ليس لديه خيار فركعت على الأرض ، وامسكت بركبته متوسلة اياه بالبقاء على الطفل ، فاجباها ليس لديه من خيار لقد تم تهديده بالقتل الشنيع في حال عدم تنفيذ الامر ، فاجابت على الفور بل لديك خيار !!

لقد سقط طفلي مني ، وها هو ميت ينتظر الحرق ، فاحرقه بدل هذا الطفل ، ودعنا نحفظ بهذا الطفل بدلاً عنه فمن يعلم بذلك ، امتلاء مترادواتس سروراً بما عرضته زوجته عليه ، وبعد يومين احرق الراعي طفله الميت ، وذهب الى بيت هارباكس في المدينة ، وقال له لقد تركت الطفل في مكان موحش ، ولم تاكله الحيوانات ، بل مات من الجوع ، وقد احرقته فابعث احد من رجالك ليتأكد اذا تشك في ذلك ، وبعد ان تأكد هاباكوس من موت الطفل طويت صفحة هذا الموضوع ، بعد ان علمت ماندانة بأمر اختفاء ابنها أقامت الدنيا ، ولم تقعدا ، وتم البحث عن الطفل في كل أرجاء المدينة ، ولكن عبثاً لم يعثروا عليه ، فاتهمت أبيها بقتله على خلفية الرؤيا السابقة ، وعادت مع زوجها الى أنشان ، وأقسمت أن لا تعود الى ميديا أبداً ، وأسدل الستار على هذا الموضوع .

ترعرع الطفل في كنف امه ، وابيه الجديدين ، وكان طفلاً نبهاً ، وذو بنية قوية ، وفي عمر العاشرة ، وبعد ان نسي الامر اخذ الفلاح يصطحبه معه الى ردهات الخدم في القصر ، لكي يساعده في بعض اعمال في القصر ، وحذره من الأقتراب ، واللعب مع ابناء الأمراء ، والوزراء ، والقادة ، وأبناء الذوات ، لأنه من أبناء العامة ، ولا يجوز له الأختلاط معهم ، وأخذ الصبي ينظر من بعيد الى الصبيان الذين يشكلون مجاميع للعراك ، والمصارعة ، والمبارزة بالسيوف الخشبية في باحات ، وحدائق القصر الغناء ، وهو يتحسر ، ويتألم لحرمانه من الأقتراب ، واللعب معهم ، ولكنه كان في غياب أبيه لشأن ما يقترب منهم ، وينظر إليهم ، حتى دعاه أحدهم للعب معهم لأكمال عدد ليس إلا ، فلبع معهم ، ولكن بحذر ، وكان يهرب منهم عندما يشاهد والده قد أقبل من بعيد ، وهكذا أستمر باللعب معهم حتى بوجود أبيه لأن الصبيان هم من طلبوا ذلك من أبيه فأذعن الأب لطلبهم ، وألحاهم ، وبالنظر لقوته ، ونباهته ، وشخصيته القيادية ، فقد ترأس مجموعته من الصبيان التي تلعب ، وتتبارز ، وتتعارك مع المجاميع الأخرى من الصبيان حتى تم أنتخابه زعيماً على مجموعته ، ومن ثم على كل المجاميع ، وأخذ هو من يوزعهم في اللعب ، والعراك ، والمصارعة ، وما الى ذلك ، وكان الصبيان يدعونه بالملك ، وكان هو بدوره قد نسي بأنه ابن راعي فأخذ يأمرهم كيفما يشاء ، وكان كل من يخرج عن أمره يعاقبه ، ويقول لهم انا الملك ، وتمادى ذات مرة فأمر بمعاقبة احد ابناء الاعيان المدعو ارتمبارس الذي رفض تنفيذ امره ، بضربه بالسوط ، فأهتاج الصبي لقسوة المعاملة ، وهرب الى منزله باكياً ، وأشتكى لدى والده قائلاً ان سيروس قد أمر بضربه بالسوط ، فقال الأب ، ومن هو سيروس ، فأجاب

الصبي أنه ابن احد رعاة الملك ، وأغضب هذا الأمر ارتمباس للقسوة التي عومل بها ابنه فاصطحبه معه الى الملك ، واخبره ان ابنه قد تعرض الى إهانة ومعاملة قاسية من ابناء احد الرعاة ، واره اثار الضرب على ظهره ، وكتفيه ، وتذمر من الالهانة التي لحقت به من ابن راعي من عبيد الملك .

أستدعى الملك الراعي ، وابنه فحضر الراعي ، وابنه ديسوس ووقفا امام الملك بخشوع .

الملك : موجهاً كلامه للصبي من اين اتيت أنت بهذه الوقاحة ، وكيف تتجرأ ، وانت ابن عبد لتعاقب بوحشية ابن من أبناء أسيادك .

الصبي : (بلسان فصيح) سيدي لم أرتكب عملاً خاطئاً بما فعلته معه .

الملك : (بعصبية) كيف ذلك ، وأنت ضربته بالسوط

الصبي : سيدي الملك لقد عينوني زعيماً ، وملكاً عليهم بسبب اعتقادهم بانني الاصلاح لهذا المنصب ، وكان الجميع يطيع اوامري ، إلا هذا الصبي ، فقد تمرد ، ولم يعرني اي اهتمام فتمت معاقبته ، وبصفتي ملكهم فمن حقي معاقبة من يخرج عن أمري ، وطوعي كما تفعل أنت سيدي ، هذا كل ما حدث ، وان كنت استحق العقاب لما فعلت فانا مستعد فنظر أبيه الفلاح اليه شزراً ..

فأندش الملك من هذه الفصاحة فأبتسم ، وقال : ومن ولاك عليهم زعيماً ، وملكاً ..؟

الصبي : هم سيدي الملك ، هم من أنتخبوني زعيماً ، وملكاً عليهم ..

الملك : اذن أنت الملك ، تضرب ، وتعاقب كيف تشاء ..

الصبي : الا تفعل أنت ذلك مع من يخرج عن طوعك سيدي الملك ..؟

وهنا صرخ الفلاح بالصبي ، وقال تأدب ياولد ..

الملك : (بضحك) موجهاً كلامه الى الفلاح : دع الصبي يتكلم

الفلاح : ولكنه يا سيدي

الملك : دع الصبي يتكلم بحرية ، ولا تقاطعنا ، ثم أردف : وهل يوجد في المملكة ملكان ..؟

الصبي : نعم سيدي انت ملك على الكبار ، وانا ملك على الصغار ..

الفلاح : يشتاظ غضباً ، لوقاحة الصبي ، والغشية عليه من غضب الملك ، ولكنه كتم غيظه خشية ، وطاعةً لأمر الملك ..

ضحك الملك كثيراً لهذا اللسان السليط ، وهذه الجرأة ، وهو الملك الذي لا يتجرأ احد الوقوف أمامه مرفوع الرأس ، فنظر اليه ، وتأمله ، وتفحصه جيداً ، وتذكر ابن ماندانه الذي قتله ، وندم ساعته على ما فعل ، بالأخص لأنه خسر أبنته ماندانه فلم يراها بعد تلك الحادثة قط ، فقال في سره لابد ان يكون هذا الطفل من نسل نبيل ، وليس بأبن هذا الراعي ، ثم تمنع في ملامح الصبي

جيداً ، فلاحظ ان ملامح وجه الصبي ذات شبه كبير به ، وبأبنته مندانه فخم ان الطفل ربما يكون ابن ماندانه ، وأنه ربما لم يقتل ..

فاضطرب الملك لذلك فترة طويلة ، واخيرا تدارك نفسه ، ورجب في فرصة للتأكد من الراعي بصورة شخصية ، وسرية ، واخبر ارتمبارس بانه سوف يتعامل مع الامر ، وبما يرضيه ، ويرضي ولده ، وصر فهم .

الملك : موجهاً كلامه للفلاح هل هذا الصبي أبنيك ؟

الفلاح : (بأرتباك) نعم سيدي ..

الملك : (بغضب) لا تكذب ، انا احبك ، وانت تخدمني بأخلاص منذ سنوات طوال ، كما خدمني ابيك ، فلا تجعلني أغضب عليك ، وأنت تعرف ماذا أفعل حين أغضب ، ثم أمر بأخراج الطفل من ديوانه مؤقتاً .

الملك : الآن تكلم بصراحة عن قصة هذا الطفل ..

الراعي : سيدي انه ابني من زوجتي سباكو

الملك : بأستهزاء ابن زوجتك سباكو .. جيد فانت لاتعترف ، وتقول الحقيقة ، فأشار الى حرسه اجعله يعترف بالحقيقة .. وجندل حرس الملك متراداتس ، وهموا بتعذيبه فانهار ، واعترف مجبراً بالقصة كاملةً ، وانهاها بطلب العفو منه ..

حالما سمع الملك بالقصة اخرج الراعي من دائرة تفكيره ، وأمر بأحضار هراباكوس نظر الراعي المسكين الى هراباكوس ، الذي طأطأ بدوره رأسه ، وبان عليه الذعر ، والأرتباك ، فقال الفلاح للملك : هو من اعطاني الطفل لغرض قتله ، ، ولكني لم أستطيع قتله ، لأنه طفل بريء ، فأخفيته ، ومن ثم قمت بتربيته .

فصب الملك جام غضبه على قريبه هراباكوس ، والذي قال بدوره

هراباكوس : سيدي عندما تسلمت الطفل اخذت بنظر الاعتبار تنفيذ أمرك ، ورجبتك ، وفي نفس الوقت لم ارغب في مضايقتك بقتل حفيدك الصغير ، في حال ندمك يوماً ما على قتله ، كما لم تطاوعني يدي على قتله بيدي ، وهو ينتسب الي بصلة رحم ، وكل ما فعلته هو انني استخدمت هذا الراعي ، فاعطيته الطفل ليقوم بتنفيذ هذه المهمة بدلاً عني أقسم أن هذه هي الحقيقة ..

الملك : والان ما دامت الاحداث ، وصلت الى هذه النتيجة السعيدة ، وهي من ارادة الالهة التي حمت هذا الطفل فقد عفوت عنكما انتما الأثنان ، وقال للراعي خير ما فعلت ، فهذا حفيدك ابن ماندانه الذي أختفى ، وأمره بكتمان هذا السر لحين أعلنه هو بنفسه .

فأنفرجت أسارير وجه الراعي ، وتنفس الصعداء ، وفرح كثيراً بعد ان كان يتوقع عقاباً شديداً على فعلته ..

الملك : سوف نكافئك على فعلتك ، وتربيتك لهذا الصبي ، فقد أحسنت تربيته ، ثم نظر الى وزيره هارباكوس بنظرة ذات دلالة ، والوزير بدوره لم يثبت ببنت شفة ، وخرج مطأطأ الرس من ديوان الملك ، واثقاً بأن الملك سوف لن يغفر له عدم تنفيذ الأمر بيده ، خرج من بعده الراعي احتضن الملك حفيده بعد مثوله أمامه ، وقال له حقاً أنت ملك أبن ملكة ، ثم أمر بأحضار الكهنة ، والعرافيين ، والسحرة لأستشارتهم في الأمر ، فقالوا له ان حلمه قد تحقق ، وانه قد أصبح ملكاً حقيقياً ، ولكن على الصبيان ، وهذه هي حقيقة تفسير الرؤيا ، وأن الصبي سيكون له شأن عظيم ، وسيساعد أمه في إدارة مملكته من بعده ، ولا داعي للخوف ، والقلق منه .

إمتلاء اساور استياغس بالفرح عند سماعه نصيحة المفسرين ، ففرح لهذا التفسير ، وأرسل في طلب أمه التي لم يشاهدها بعد هذا التاريخ ، وأخبرها ببرائته من دم ابنها ، وأن احد الخونه قد سرقة من قصره ، ورماه في العراء لغرض ان تأكله الذئاب لغرض الانتقام منه ، وولى هارباً ، وسوف نعثر عليه ، ومنتقم منه ، وان هذا الراعي الطيب قد عثر عليه ، فأحتضنه ورباه ، وأحسن تربيته ، وأنا كافنته على ذلك .

وتم ذبح القرابين للالهة التي يعود لها الفضل في ذلك ، وعم البلاد الأحتفالات ، والأفراح ، ولمدة ثلاثة أيام متتالية أبتهاجاً بهذه المناسبة ، ودعا الملك الوزراء ، والوجهاء الى وليمة كبيرة في ديوان قصره ، وعلى مائدة الطعام جلس الملك في وسط المائدة ، وعلى جانبيه وزرائه ، وقادته ، وبعد الأنتهاء من الأكل ، والشرب ، نهض الملك من مكانه بأستهزاء ، وتشفي وهو ثمل نوعاً ما ، وقال لهاربكوس هل شبعت ..؟

نعم سيدي

الملك : وهل تعرف ماذا أكلت ..؟

هارباكوس : أكلت سيدي ما أكلتم انتم جميعاً ..

فقال الملك : لا فقد كان أكلك خاصاً ..

هارباكوس : كيف ذلك سيدي ..؟

فقال الملك : أحضروا له ماذا أكل ..

فأحضر له الخدم أناءً ، وتم رفع غطاءه ، والا برأس ابنه البالغ ثلاثة عشر عاماً .

فسقط هاباكوس على كرسيه متهاكاً ..

فنظر اليه الملك الظالم ، وقال له بحدة لقد أكلت من لحم أبنيك ..

فأفرغ هارباكوس ما في معدته ، وعم الفوضى في البلاط ، فطرق الملك على الطاولة فعم الهدوء .

فقال الملك : (بحدة) هذا جزاء كل من يتهاون في عمله ، وقلب الحديث أمام الحضور

، وقال كيف يسرق حفيدي من القصر ، وانت حاميه ، لولا إرادة الأله العظيم ، وعثور

راعي المخلص عليه ، لأكلته الذئاب ، وكان الآن في خبر كان ، فمن أختطفه ، ومن هذا
المجرم الخائن .

فكتم هارباكوس غيظه ، وكذلك دهشته من هذا الحديث المحرف ، ولكنه خشي عاقبة
أكبر من ملك ظالم مثله ، وبعد أن أستعاد هدوئه قال : نعم سيدي أنا أستحق هذا العقاب
لأنني أهملت واجبي في حينها ، وانا أعتذر ، وأستحق هذا العقاب ، وأي عقاب ترونه
مناسباً بحقي ..

فقال الملك : لا اكتفينا بهذ العقاب ، وستستمر في عملك ، ولكن حذاري من اي أهمال
آخر في المستقبل .

ففهم الوزير ما يريده الملك من كتمان هذا السر ..

بدايات سقوط الأمبراطورية

بعد انتهاء الأحتفالات عادت الأم بأبنها الى أنشان خوفاً عليه من اية مكيدة أخرى ، و عمت أنشان أيضاً الأحتفالات ، والأفراح ، ونحر الذبائح ، وما الى ذلك ، وترعرع الصبي في كنف أمه ، وأبيه الحقيقيين في أنشان حتى أصبح شاباً قوياً .

عزف ، وأحجم الملك الميدي طوال عهده الذي استمر ٣٥ عاماً عن الاشتباك في الحروب ، لحماية مملكته من العصيان والتمرد ، وأهمل شؤون مملكته . وكان هارباكس يتحرق غيضاً من الملك فوجد في ابن ماندانه سيروس الذي كان ضابطاً في الجيش الميدي أنذاك خلاصه ، وظل يتودد له ، ويرسل له الهدايا ، في المقابل عمل سيروس على تقوية نفوذ البرس في الجيش ، ومن ثم مهد الى بداية ظهور دولة الأخمينيين ، وعلو شأنهم ، وتحفزهم للاستقلال ، وباتوا ينتهزون فرصة للتخلص من سلطة الميديين ، وشرعوا في تكوين جبهة قوية ممتدة للوقوف بها في وجه ميديا ، وقد نجحوا في ضم اقوام آخرين الى جانبهم من الشعوب الخاضعة لميديا التي شقت عليها عصا الطاعة ، وأعلنت العصيان ، وبما ان الوزير هارباكوس كان يتحين الفرص للانتقام من الملك لمقتل أبنه ، فقد أرسل الرسالة التالية الى سيروس (يا ابن قمبيز ما دامت الالهة قد حرستك ، ومن دونها لما توفرت لك هذه الفرصة ، لمعاقبة استياغس الذي كاد ان يكون قاتلك ، فلو قدر له ان ينفذ امره ، لكنت الان من الاموات ، للالهة ، ولي يعود الفضل في انقاذ حياتك ، وبدون شك تعلم بالتفصيل ما حدث لك ، وكيف حاول استياغس معاقبتي ، وكيف اعطيتك الى راعي البقر بدلا من قتلك . اعمل بما انصحك به ، وسوف تصبح سيد كل مملكة استياغس ، حرص عشيرتك والعشائر الأخرى على التمرد ، وازحف بهم ضد ميديا ، لقد أمنت لك جانب الميديين المتنفذين بأن لايعصون أوامرك . سوف تكسب كل نبلاء ميديا لانهم راغبون في ازاحته ، والاتحاق بك بهدف إسقاطه هنيئا لك كل شيء اعمل بنصيحتي ، ونفذها بسرعة ، وسوف أقوم أنا بموازرتك للسيطرة على عرش جدك ، علماً ان غالبية قادة الجيش هنا معنا ، أني أدعوك للقدوم الى ميديا للسيطرة عليها قبل ان يثور الشعب على جدك ، وساعتها سيذهب عرش أمك ، ويستولي غيرك على عرش ميديا ، وأنت أولى بها من غيرك لأنك ابن مندانة العزيزة) ١٨ .

بعد قراءة الرسالة من قبل سيروس قام بدعوة رؤساء العشائر التالية الى وليمة وهم : (باسركادا ، مارفي ، وماسني ، بانيثيالي ، وديروساي ، وجرماني وكلها عشائر مستقرة اما الأخرى مثل داي ، وماردي ، ودروبس ، وسكارتني ، فهم عشائر رحل) وأبرز هذه العشائر كانت عشيرته (باسركادا) لانها كانت تضم فخذ (الأخمينيين) التي تبحث عن السلطة السياسية ، والعسكرية ، والمقترنة بالرغبة في الأستيلاء على الدويلات المجاورة ،

وخاصةً هذه الممالك التي كان ملوكها الصغار يخضعون لسيطرة (أكتانا) عاصمة الميديين .
فعرض عليهم الثورة ، والتحرر من ظلم جده الميدي أستياغ ، وتقبلوا بحماس افكاره
التحررية ، والثورة على الميديين .

كما دعى في اليوم التالي أبناء هذه العشائر ، وسلمهم مناجل لغرض حصاد مساحة
واسعة من الأرض ، من الصباح حتى المساء ، حتى أنهكهم التعب ، ثم دعاهم في اليوم
الذي يليه الى وليمة كبيرة مفتوحة من الأكل ، والشرب ، واللهو ، ففرحوا بذلك .
فنهض بهم خاطباً ، وقال لهم أيهما كان الأفضل عمل البارحة المضي ..؟ ام عمل اليوم
من اكل وشرب ولهو ..؟

فقالوا جميعاً : طبعاً هناك بون شاسع بين اليوم وعمل ومشقة البارحة ..
فقال لهم ان طاوعموني فيما أريد ، وهو خير لكم ، ستكون كل ايامكم مثل اليوم بذخ ،
وراحة ، وعز .

فقالوا جميعاً : ومن منا لا يحب الراحة ، والثراء ، والعز
فقال لهم : اذن هموا أنفسكم للثورة ، لتكونوا أسياد ميديا ، وآسيا وسوف تكون كل
كنوزها واموالها تحت تصرفكم ، وتكونون انتم الأسياد وتخدمون ، وليس العبيد الخدم
فهتف الجميع للثورة ، والعز ، والمجد ، وهكذا بث العزيمة والحماس في نفوسهم ،
كذلك أستطاع كورش العمل على اثاره القلائل في المناطق الميديّة المختلفة في وجه ميديا
فوجد كورش الظروف الملائمة لانتهازها ، بعد تحشيد ، وتحريض القبائل ، وقد نجح
فعلاً في ضم اقوام ، وقيادات ميديّة الى جانبه ، كأقوام البارث ، والهيركيا ، ومن ثم
تحشيد قواته ، ضد جده فأندفعت هذه القبائل لازالة دكتاتورية ، وظلم ، وعبودية الملك (أستياغس) .

بينما كان الملك يفكر في أواخر حكمه ، بالهجوم على بابل ، والاستيلاء على حرّان ،
وفعلاً حرك جيشاً بقيادته للاستيلاء على حرّان ، ولكنه قبل أن يقدم على الهجوم ، بلغه
خبر تمرد القبائل البارسية عليه بقيادة حفيده كورش ، فاضطر للعودة إلى عاصمته .

فقاد كورش جيشاً كبيراً ، وحمل لواء الحرب ضد الامبراطورية الميديّة ، ودام
الحرب بين الطرفين ثلاثة سنوات أخيراً زحف على رأس جيش جرار ، وتقدم به لأحتلال
العاصمة اكباتانا بعد ان انظم اليهم اعداد كبيرة من القبائل من الفرس ، والكورد ، وبقية
الطوائف المستتانة من جور ، وظلم الملك الميدي حيث التقى بجيش جده ، واشتبكا معاً
في معركة حامية الوطيس قرب العاصمة قادها الملك أستياغس بنفسه ، ودافع فيها
دفاع المستميت ، وأبلى فيها بلاء حسناً يحدوه الأمل في المحافظة على عرشه ، وعلى
شرف اسرته ، واستمرت المعركة سجلاً بين الفريقين ، وكان النصر يتأرجح بين
الكفين الا ان الخائن (هارباكوس) قد قرر مصير الحرب بعد ان باع شرفه ، واجرم في

حق وطنه ، فتقدم الى العدو طائعاً مختاراً ، وانضم من معه من القادة ، والجنود الى كورش عدو وطنه اللدود ، وبانضمامه الى جانب العدو وجه طعنة الى صدر استياغ ، وجيشه حيث ضعفت روح الجيش المعنوية ، وأخذت تنتابه هزائم متلاحقة لم يستطع امامها صموداً مما أدى الى اندلاع نيران ثورة جامحة في ميديا تمخضت عن خلع استياك عن العرش عام (٥٥٠) ق.م ، وهكذا كسب كورش المعركة ، وسبق ان كشفت السيدة (مينا زوجة كبير كهنة الموغ) ١٩ عن هذه المؤامرة ، وعندما عرف أستياغ بالمؤامرة لم يتمكن من مجابتهها إذ كانت مستشرية ، وأصبحت ذات قوة إذ أنقسم جيش البلاد إلى قسمين ، وثمة مجابهاة عديدة بينهما لذا قاد الجيش بنفسه ، ولكن كان النصر النهائي لكورش الذي قضى على حكم جده أستياغ ، هكذا لعبت الخيانة دورها في تغيير نتيجة المعركة ، وكان القليل منهم ليعرف المؤامرة فحاربوا ببسالة أما البقية ، فأما فروا ، أو أستسلموا ، وأنضموا الى الجيش الغازي ، وهكذا دخلت الجيوش الغازية ميديا ، وأسقطت حكومتها ، وعزل ملكها (أستياغس) وعامل (كورش) جده الملك أستياغس بأحترام عظيم ، وأبقاه في قصره ، وأنهى حكم الإمبراطورية الميديية بإقامة إمبراطورية فارسية تحمل اسم الإمبراطورية الأخمينية ، وذلك في سنة ٥٤٩ ق.م .

أحسن ، وكرم كورش معاملة هارباكوس الذي حسم المعركة لصالح أعداء وطنه الاخمينيين ، وانتهت الامبراطورية الميديية ، وقضى عليها بالزوال ، وقامت على أنقاضها حكومة الاخمينيين الايرانية.

عندما تم عزل الملك أستياغس حضر (هارباكوس) وسخر منه تشفياً ، وقال له : ما هو شعورك الآن بعد أن تحولت من ملك الى عبد ..؟

الملك : هل كان هذا من تدبيرك ..؟

هارباكوس : نعم

الملك : (بعد ان بصق في وجهه) أنت لست رجلاً شريراً وحسب ، بل أكثر الرجال غباءً أيضاً... أنك غبي لانك فضلت بأن يكون غريب على رأس السلطة في حين كان بإمكانك أن تكون أنت الملك ، وأنت شير لانك منحت السلطة لرجل غريب عن أبناء جلدتك الميديين الطيبين ، وحولتهم من أسياد الى عبيد بدل الاحتفاظ به لنفسك ، وكان رائعاً لو منحت هذا لشعبك الميدي ، وليس للبارسيين الغرباء .

يذكر بعض المؤرخين بأن الملك أستياغ مات في الصحراء عندما آثر على الإقامة

في القصر كرجل عادي لا سلطة له بناءً على رغبة كورش .

الحقيقة ان الميديين انفسهم ابتهجوا بانتصار كورش على ذلك الطاغية ، وارتضوه ملكاً عليهم ، ولم يكذب صوت واحد بينهم بالأحتجاج عليه ، وما هي الا واقعة واحدة حتى أنقلبت الآية فلم تعد ميديا سيدة بارس ، وبقيت الولايات الميديية ، بل أصبحت بارس سيدة ميديا (كما توقع

الملك الطاغية) لتكون سيدة عالم الشرق الأدنى كله ، ولتتحول اسم الإمبراطورية الميديّة الى الإمبراطورية البارسيّة الأخمينيّة .

هكذا انسحب الميديون مبكراً من المسرح السياسي للشرق الأوسط القديم بعد أن كانوا أسياد آسيا في كل المنطقة الممتدة وراء نهر هاليس مدة مائه ، وثمانية ، وعشرين عاماً أجبروا على التخلي عن السلطة ، وكانت هناك بعض المحاولات لإعادة شرف الإمبراطورية الميديّة ، والاسرة الحاكمة من قبل بعض الغيورين ، ومنهم :

ثورة كوماتا (٢٠) سنة ٥٢٢ :

بعد سقوط الإمبراطورية الميديّة حمل هذا الرجل لواء الثورة ضد الملك الأخميني دارا الأول بدعم من الفلاحين ، وعمامة الشعب الميدي في الوقت الذي كان (داريوس) الاول مشغولاً بالقتال في بلاد (بابل) التي ثارت من جديد ، فاضطر في بادئ الأمر لارسال جيش على (ميديا) لاقحام الثورة الناشبة فيها ، فلم يتمكن الجيش المرسل من عمل شيء ، ولكن (داريوس) بعد أن أخمد الثورة في (بابل) ذهب بنفسه الى (ميديا) ، وأخذ الثورة (٥٢١ ق.م) وتم القبض على كوماتا ، وقطع انفه ، وأذنه ، ولسانه ، وفقأت عيناه ثم رمي بالسهام ، وقتل في اكباتا ، ومن الجدير ذكره هو إن دارا الأول بعد أن قضى على ثورة كوماتا اضطر إلى إجراء بعض الإصلاحات الإدارية ، والأهتمام بالفقراء ، والفلاحين ليكسب ودهم .

ورد في الكتاب المقدس ان داريوس كوردي ميدي (٢١) حيث يذكر في قصة الملك داريوس الميدي فأخذ المملكة داريوس المادي ، وهو ابن اثنتين ، وستين سنة". دانيال: ٣١/٥ ، كان داريوس ملكاً ميدياً مشهوراً، معروفاً بالمتنور، والحاكم المحبوب. حاول أن يحيط نفسه بالعديد من الناصحين ، والمستشارين الحكماء بمعزل عن منابتهم وأوطانهم . وكان مستشار الملك داريوس الأقرب يهودياً ، يُسمى دانيال الذي كان رجلاً صادقاً، حكيماً، ومؤمناً". حينئذ اجتمع هؤلاء الوزراء والمرازبة (حكام الولايات) وقالوا له هكذا . أيها الملك داريوس عش إلى الأبد". دانيال: ٣/٦

ثورة الزعيم خشريتيا :

أعلن الثورة ضد الاخمينيين بعد كوماتا ، الزعيم (خشريتيا) ٢٢ ، وهو ينتمي إلى عائلة الملك الميدي الأبرز كيخسرو ، وسعى إلى إعادة الإمبراطورية إلى الحكم الميدي ، ولكنه لم ينجح في ذلك ، فقد كانت هزيمته في آخر معركة تحمل اسم (كوندورا) ، هرب خشريتيا بعد خسارته المعركة إلى مدينة ري الحالية ، ولحق به الجيش الأخميني ثم ألقى القبض عليه ، وكانت نهايته بشعة جداً تقشعر لها الأبدان إذ قطع الملك إذنه ،

وجدع انفه ، وفتح عينه ، وقطع لسانه ثم ربطه بشجرة في مدينة أكباتانا ، ورمي بالسهام حتى مات ، وهذا ما يفتخر به دارا مع ذلك المتمرد على حد تعبيره عندما دونه على نقش بهيستون في أخبار انتصاراته .

ثورة جتران تخوما :

بعد ثورة الزعيم خشريتا ثار جتران تخوما(٢٣) ، وحاول الاستقلال من حكم الأخمينيين ، ولكنه خذل من قبل أبناء جلدته ، وخيانة بعضهم له عندما قاموا بالقبض عليه ، وسلموه الى الملك داريوس في مدينة هولير (أربيل) ثم كانت نهايته ليست أرحم من نهاية سلفه خشريتا من حيث التعذيب ، وقطع الأنف ، واللسان ، والإذنالخ .

كان كل من كوماتا ، وجيتران من نبلاء عائلة سياكرز ، وهكذا تلاشت الآمال في إعادة ما يمكن اعادته ، وبالتالي النيل من الذين تسببوا في سقوط الامبراطورية الميدية ، وخضعت جميع بلاد كوردستان كما خضعت غيرها من البلاد الميدية بعد سقوط حكومتها الى الحكومة الأخمينية (الكيانية) وبقيت على ذلك الحال حتى غلبة الأسكندر المقدوني على إيران بعد ذلك التاريخ بقرنين .

حاول احد احفاد استياغ ، وهو (كي بداخ) ٢٤ بعد قرن ، ونيف جمع بعض الامارات الميدية في دولة واحدة ، ولكنها لم تستمر طويلاً حيث استولى عليها الأسكندر المقدوني سنة ٣٣١ ق.م عند اجتياحه لبلاد (أديابن) واربييل ٢٥ .

لم يكن إسكندر المقدوني متعصباً لجنسه ، أو لقوميته إلى درجة كبيرة كما يتصف به الاحتلال ، أو الاستعمار بل كان ليناً إلى حد ما إذ لم يقضي على ثقافة ، ولغة ، وحضارة منطقة الشرق الأوسط عندما وصل إليها بل أوجد حضارة ممزوجة تحمل اسم هلنستية (أي هيلين + ايست) 25 هيلين اسم جدة اليونانيين ، وأيست معناها الشرق باليونانية) لذا فيما يتعلق بأرض ميديا وضع عليها شخصاً ميدياً لا يونانياً يحمل اسم اكسودات في سنة ٣٥٠ ق.م ، ومن بعده أتروبات سنة ٣٤٨ ق.م ، وفي هذا العهد أقيم حفل زفاف كبير ، ومشهور في التاريخ إذ أقام إسكندر حفلة زواج فخمة له ، ولمئة من قواده العساكر ، وتزوجوا من الشرقيات ، وتزوج إسكندر الفتاة الميدية (روكسانا) وقائده المفضل سلوقس من الفتاة الفارسية (أباما) وهكذا لبقية القادة أما بالنسبة لمصير ميديا أو الأرض التي يحكمها أتروبات ، فقد أخذت تحمل مع الوقت اسم أذربيجان .

يعد كورش الثاني المؤسس الحقيقي للسلالة الأخمينية الحاكمة ، بعد أن تمرد على جده الملك الميدي ، وأغتصب عرش مملكة ، ووحده مع العرش الفارسي ، وسيطر

على كل إيران ، وتحمل بالتالي تبعة كل الاتفاقيات ، والمعاهدات الميديية ، ومنها تحالفهم مع السلالة الأكديية الحاكمة في بلاد بابل الى أنه ، وبعد أن سيطر على ميديا ، وأقصى شمال بلاد الرافدين عند نهر الخابور ، وشمال بلاد الشام ، طمع في بلاد بابل ، فنقض المعاهدات ، وغزا بابل لأول مرة عام ٥٤٧ ق.م ، وأحتلها بقيادة قائد كوردي ميدي هو (غبارو) ٢٦ ، ونفي الملك البابلي (نابونائيد) الى كرمانيا ، وأنهى حكم البابليين الى الابد في بابل ، ثم توسع إلى بلاد الشام ، ومن ثمّ التقدّم نحو الغرب ، والدخول في معارك ضارية مع الليديين بقيادة ملكهم " كريسوس " Cresus الذي كان ابن الملك " آليات " . وكذلك إلى غرب الأناضول إلى بحر إيجه ، وتوسع شمالاً إلى جبال القوقاز ، كما توسع شرقاً في آسيا الوسطى إلى أقصى ما وصلت إليه الحضارة (يعتقد بوصوله إلى حدود قرقيزستان (٢٧) ، وقام ابنه من بعده باحتلال مصر، ثم انشغل أحفاده بحروب ضد اليونان ، وشعوب البحر الأسود .

طبق كورش سياسته الخاصة بالانفتاح على أهالي المناطق التي يحتلها ، فأحترم المعتقدات الدينية البابلية ، وحررها من عبادة القمر الذي فرضها نابونائيد على كهنة مردوخ ، مما جعل الكهنة يفرحون به لأنه أعاد إليهم امتيازات الأرستقراطية الدينية كما سمح ليهود بابل بالرجوع الى أورشليم كما أرادوا .

في هذا الصدد تروي لنا الحوليات ، أن عيلام نهضت من جديد في هذه الفترة ، وأحتلت أكد ، وأن ملكاً عيلامياً بدأ يحكم الوركاء ، أي أن الكورد حكموا من جديد بلاد أكد ، كما أن الميديون بقوا على رأس غالبية القيادات في الدولة الأخمينية ، يقول المؤرخ (حسن بيرينا) مشير الدولة سابقاً في كتابه القيم (إيران قديم) كانت ست أسر ميديية كبيرة تقيم في عاصمة الأخمينيين (هخامش) ، وكانت تأتي في المرتبة ، والدرجة الثانية بعد ست أسر فارسية نبيلة ، فكانت المناصب العليا خاصة برجال هاتين الطبقتين من الأسر الفارسية ، والميديية .

كما أحتلت الدولة الأخمينية مصر ، ودخلت في نزاع مع الدويلات الأغرريقية غرب اسيا الصغرى ، وكانت بداية الصراع اليوناني - الفارسي ، ومن ثم أنقراضها على يد الأسكندر المقدوني الذي أستولى على البلاد الإيرانية ، وبضمنها كوردستان .

لكن العشائر الكوردية (كاردوخي) ٢٨ أحتفظت بأستقلالها الداخلي في جميع أدوار التاريخ إذ كانت مستقلة في عهد الحكومات (الكيانية ، المكدونية ، البرثية ، الأشكانية ، والعربية ، والتركية) وبعد سقوط ميديا ب (٤٩) عاماً عبر القائد اليوناني (زينفون) قائد (رجعة العشرة الألف ميل) الشهيرة ، والذي أنسحب عبر جبال كوردستان في عام (٤٠٠ ق.م) ، وأستغرق عبوره من خلالها زهاء سبعة أيام واجه خلالها الكثير من المصائب والمشاكل ، وصفها في كتابه (أناباس) وهو أول من بحث عن هؤلاء القوم الذين ضايقوا جيشه في دربند (زاخو) مضايقة شديدة ، وقاتلوه قتالاً مستمراً ، وطاردوه في هذه المنطقة حتى عبرها بعد ان

اعطى خسائر كبيرة ، وصف زنفون (الكورد - الكاردوخ) بأنهم شعب يسكن الجبال ، وهم قوم بواسل جداً ، وغير خاضعين لأحد .

أصبحت كوردستان بعدها تؤلف جزء من الإمبراطوريات التي تعاقبت بعد احتلال بابل من قبل الأسكندر المقدوني ، وقام الملك السلوقي أطيوخوس السابع بأخر حملة كبيرة له على بلاد الكاردوخي ، او ميديا ألا أنها أبيدت عن بكرة أبيها ، فبذلك حلت الكارثة الكبرى بالأغريق في الشرق ، وبالوجود الهيليني في بلاد الرافدين ٢٩ . في عهد السلوقيين في العام ١٤٠ ق.م .

في (سنة ٣٦ ق.م) دخلت كوردستان في حكم القائد الروماني (مارك انطوان) الذي كان في نضال شديد مستمر مع الاشكانيين ، فادى هذا النضال المستمر في النهاية الى انكسار جيش الرومان شر كسرة ، واغتنام الاشكانيين كثيرا من الاموال ، والعتاد والذخيرة ، هذا وكانت (ميديا الصغرى) التي هي ولاية (اذربيجان) الحالية مستقلة تماماً .

بعد مدة من الزمن زحف (فرهاد) الملك الرابع من ملوك الاشكان ، بجيش عظيم على حكومة (ميديا الصغرة) ٣٠ فقضي عليها بعد معارك دامية ، وأسر ملكها ، واستولى على أرمينيا ايضا ، ونصب أحد أقاربه ملكاً عليها ، وقبل الميلاد بسنة واحدة ، عقدت الحكومة الاشكانية معاهدة مع حكومة روما تنازلت بموجبها عن مقاطعتي (أرمينية) و (كوردستان) لحكومة روما .

مصادر الفصل الثالث

- ١ - سدني سميث ، في ذكرى الأستاذ بور داقور ، بومبي عام ١٩٥١م ، ص ١٥٤
- ٢ - هيردوتس في كتابه الشهرير التاريخ عند ميديا ، والميديين ، ص ٢٢٤
- ٣- هيرودوتس ، مصدر سابق ، ص ٢٢٦
- ٤ - زرین كوب ، مصدر سابق ، ٥٢٦
- ٥- مينورسكي ، دراسات في تاريخ الففقااس ، لندن - ١٩٥٧ ، ص ١١٦ وما بعدها
- ٦ - الأستاذ ف . مينورسكي ، قبائل ايران الضائعة ، المعهد الانثوبولوجي الملكي - ١٩٤٩ ، ص ٣٢١
- ٧- أ. د . فؤاد حمة خورشيد ، اصل الكورد مصدر سابق ص ٨٦
- ٨ - فؤاد نفس المصدر ، ص ٨٨
- ٩ - براسند جميس هنري ، تاريخ العصور القديمة ، ترجمة داود قربان بيروت ١٩٢٦ ص ١٣٥ .
- ١٠ - باسيل نكيتين ، الكورد : دراسة اجتماعية تاريخية ، باريس ، المكتبة الوطنية الامبراطورية - ١٩٥٦ ، ص ٤٣٢
- ١١ - المؤرخ الروسي دياكونوف ، ميديا صفحة ١٧٠ .
- ١٢ - نفس المصدر ص ١٧٢
- ١٣ - تاريخ الاكراد توماس بوا ، ترجمة محمد تيسير ميرخان ، دار الفكر المعاصر بيروت ، ص ٢٤٠
- ١٤ - اغلب ما كتب عن حياة ، وتاريخ هذا الملك هو في كتاب (التاريخ عن ميديا لهيرودوتس)
- ١٥ - د . زيار ، مصدر سابق ، ص ١١٥
- ١٦ - د . زيار ، مصدر سابق ص ١٦٥
- ١٧- د . زيار ، مصدر سابق ، ص ١٧٠
- ١٨ - اولمستيد ، تاريخ اشور ، نيوريوك - ١٩٢٨ ، ص ١١٧
- ١٩ - هيروديتس ، مصدر سابق ، ص ٢١٣
- ٢٠ - مشير الدولة ، حسن برينا ، كتاب تاريخ ايران القديم ، ص ٢٥٤-٢٥٥
- ٢١ الكتاب المقدس ، مصدر سابق ، دانيال ٥ / ٣١
- ٢٢ - د . زيار ، مصدر سابق ، ص ٤٠٧
- ٢٣ - نفس المصدر ، ص ٤١٢
- ٢٤ - نفس المصدر ، ص ٤١٦

- ٢٥ - كامرون ، فراي ، تاريخ إيران ؛ زرین کوپ ، روزگاران ، ص ١٥١ - ١٥٠
- ٢٦ - د . محمد حرب فرزات ، مدخل إلى تاريخ فارس ، وحضاراتها القديمة قبل الإسلام ١٠٩ .
- ٢٧ - سير . أ . شتاین ، مصدر سابق ، ص ٤٣
- ٢٨ - مشير الدولة ، حسن برینا ، مصدر سابق ، ص ٣٢١
- ٢٩ - زینفون ، مصدر سابق ، ٢٤١
- ٣٠ - المؤرخ الروسي دیاکونوف ، مصدر سابق ، ص ١٧٣

الخاتمة

البحث عن تاريخ ميديا واحدة من الامور الصعبة المعقدة التي أنهكت افكار العديد من المؤرخين لكون المديين لم يخلفوا لنا اية كتابات تذكر كما اسلفنا ، لكني أستناداً الى جميع كتب العرب ، والكورد ، والغرس ، والأجانب من الكتاب ، والمؤرخين ، وتبعاً لدراسات موثوقة ، واستناداً لبعض البحوث العلمية المحايدة ، والدقيقة بالإضافة الى الاثار القديمة المكتشفة ، واللغة وجدت ان جميعها تؤكد ان الامبراطورية الميديية هي اكبر امبراطورية كوردية برية رعوية شهدها تاريخ الشرق الأدنى .

كما اني وجدت التاريخ الكوردي غني جداً ، ولا يمكن لأحد الانتقاص منه على الرغم من محاولات البعض هنا ، وهناك ، فلا يمكن إخفاء الشمس بالغربال ، كما وجدت ثمة أقلام جادة محايدة تبذل جهوداً حثيثة لأمانة المهنة إنسانياً ، وهي كثيرة للكشف عن هذا التاريخ وبيانه حسب وعائه الحقيقي .

وحسب الكورد ان أرضهم قد ذكرت في القرآن الكريم (ورست على الجودي) حين رست عليها سفينة نوح ، ومن أرضهم أبتدأت السلالة البشرية الثانية بعد فناء الأولى بالطوفان .

كما ان تاريخ الكورد الرائع يمتد آلافاً من السنين، وأكثرية هذا التاريخ ، تم تسجيله في الكتاب المقدس ، حين كان الكورد يدعون بـ "الميديين" ، وتخيرنا قواميس الكتاب المقدس ان الكورد ينحدرون من الميديين : (أن ميديا كانت بلاداً آسيوية قديمة ، تقع في جنوب بحر الكاسب ، شمال عيلام ، شرق جبال زاغروس ، وغرب بارثيا. إنها قسم من الأرض التي نسميها اليوم كوردستان . كانت ميديا معروفة بأحصنتها العجيبة الخيالية ؛ أرض غنية ، وثرورات كبيرة . في ذروة مجدها كانت تحكم من اليونان إلى طهران) كما يقول الكتاب المقدس: (أن الرب ، أقام جنة عدن بين نهري دجلة ، والفرات، اللذين لايزالان يجريان في أراضي كوردستان إلى اليوم .، يمكن إرجاع بدء زمننا على الأرض التي تسمى اليوم كوردستان ، والمنطقة المحيطة بها) تستطيع الإطلاع، وقراءة ذلك في سفر التكوين ، كتاب موسى الأول حيث كتب (غرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً . وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. إسم الأول فيثون ، واسم النهر الثاني جيحون ، وهو المحيط بجميع أرض كوش . واسم النهر الثالث حداقل . وهو الجاري شرقي أشور . والنهر الرابع الفرات ، وأخذ الرب الإله آدم ، ووضع في جنة عدن ليعملها ، ويحفظها) سفر التكوين: ٢/٨/١٥

المصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢ - الكتاب المقدس العهد الجديد - الترجمة العربية المشتركة من اللغة الاصلية - دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط .
- ٣- العلامة الوزير محمد أمين زكي (خلاصة تأريخ الكورد وكوردستان) من أقدم العصور التاريخية حتى الآن ط٢ ، ١٩٦١
- ٤ - أبراهيم محمود (القبيلة الضائعة - الأكراد في الأدبيات العربية - الإسلامية)
- ٥ - د - شاكرك خصبك (الكورد ، والمسألة الكوردية) المؤسسة العربية ، بيروت - ١٩٨٩ ، ط٢ .
- ٦ - د. سعدالدين أبراهيم (الملل ، والنحل ، والأعراق - هموم الأقليات في الوطن العربي) مركز ابن خلدون القاهرة ط٢
- ٧ - سير . أ . شتاين ، تعليقات حول عبور الأسكندر المقدوني نهر دجلة ، ومعركة أربلا المجلة الجغرافية تشرين الأول عام ١٩٤٢
- ٨- ادموندز ، ترك عرب ، وكورد ، ترجمة جرجيس فتح الله
- ٩ - ويلسون ناثنيل هاول ، الكورد والاتحاد السوفييتي ، ترجمة ضياء الدين المرعب ، مطبعة ايلاف ٢٠٠٦
- ١٠ - الدكتورة دولت احمد صادق ، والكتور جمال الدين الدناصوري ، والدكتور محمد السيد غلاب : (الجغرافية السياسية) - مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة .
- ١١ - بريطانيا العظمى ، وزارة الخارجية القسم التاريخي
- ١٢ بوترو ، جين ، واخرون ، الشرق الادنى - الحضارات المبكرة ، ترجمة د . عامر سليمان مطبعة جامعة الموصل .
- ١٣- ليرخ - ب (دراسات حول الأكراد ، وأسلافهم الخالدين الشماليين) ترجمة د . عبيد حاجي ، ط١ ، دمشق - ١٩٩٢
- ١٤- جاك كاليبو - نيكول كاليبو (مذاهب ، وملل ، وأساطير في الشرق الأدنى ، والأوسط) تعريب فارس غصوب ، دار الفارابي بيروت - ١٩٩٧ ، ط١ .
- ١٥ - الدكتور أحمد سوسة (العرب ، واليهود في التاريخ) منشورات دار العربي دمشق .
- ١٦ - د . علي جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام
- ١٧- المسعودي ، أخبار الزمان ، دار الأندلس ، بيروت د . ق .

- ١٨ - الدكتور عبد الهادي عبد الرحمن ، التاريخ ، والأسطورة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
- ١٩ - جمال رشيد أحمد ، لقاء الأسلاف الكورد ، واللان في بلاد الباب ، وشروان ، منشورات رياض العربي لندن ١٩٩٤ .
- ٢٠ - توماس بوا (تأريخ الأكراد) ترجمة محمد تيسير ميرخان ، دار الفكر المعاصر بيروت ط ١ ، ٢٠٠١ .
- ٢١ - ج . آر . درايفر ، الكورد في المصادر القديمة ، ترجمة الكتور فؤاد حمه خورشيد
- ٢٢ - الكورد من اعرق شعوب جنوب غرب اسيا ، كونتر دشنر ، احفاد صلاح الدين ، ترجمة عبد السلام مصطفى صديق اربيل بلا . ت
- ٢٣ - د . فؤاد حمه خورشيد ، اللغة واللهجات الكوردية - دراسة جغرافية .
- ٢٤ - د . فؤاد حمه خورشيد ، أصل الكورد ، ط ١ ، دار الثقافة والنشر الكوردية ٢٠٠٦ .
- ٢٥ - د . فؤاد حمه خورشيد ، الكورد في المصادر القديمة .
- ٢٦ - الدكتور فاضل عبد الواحد - الدكتور تقي الدباغ ، ومجموعة من الدكاترة (العراق في التاريخ) بغداد - ١٩٨٣ .
- ٢٧ - الدكتور جمال رشيد احمد ، المدرس بقسم التاريخ في كلية الآداب- جامعة بغداد (الأنبياء الميثاني في بلاد الكورد) مقالة في مجلة الأديب الكوردي - عدد خاص تشرين الثاني ١٩٨٦ .
- ٢٨ - سي . جي . آدموندز (ترك وعرب - بحوث عن الشمال الشرقي من العراق - ١٩١٩-١٩٢٥) ترجمة جرجيس فتح الله
- ٢٩ - عبدالله أوج آلان (من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية) الجزء الأول ، والثاني .
- ٣٠ - ارشاك سافرستيان ، الكورد ، وكوردستان لندن مطبعة هارفيل ١٩٤٨ ، ص ١٦
- ٣١ - هكذا تكلم زرادشت ، تأليف الفيلسوف فردريك نيتشة - ترجمة فليكس فارس - دار القلم بيروت .
- ٣٢ - مسعود محمد : لسان الكورد ، مطبعة الحوادث ١٩٨٧ .
- ٣٣ - - باسيلي نيكيوتين القنصل الروسي في طهران (الكورد) : دراسة سوسولوجية وتاريخية ، ترجمة الدكتور نوري طالباني ، تقديم لويس ماسينيون .
- ٣٤ - المحامي كمال محي الدين (مقال في جريدة التأخي حول الأبجدية الكوردية) - العدد (١١ - ٢٤ - ٥٤٥٨)
- ٣٥ - ول ديورانت (قصة الحضارة) نشاط الحضارة - ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود الجزء الاول والثاني من المجلد الاول .

- ٣٦- رشيد الخيون (الأديان ، والمذاهب بالعراق)
- ٣٧- زرین کوب ، روزبه . ” مدخل إيران “ . الموسوعة الاسلاميه الكبرى ،
المشرف العام : السيد كاظم الموسوي البجنوردي . طهران : مركز الموسوعة
الاسلاميه الكبرى. ١٩٨٩- ، الجزء ١٠ .
- ٣٨- كورش ، كوردستان ، موسوعة المعارف البريطانية - ١٩٦٤ ، المجلد ١٣
- ٣٩- كركوك قلب كوردستان فؤاد حمة خورشيد سليمانيه ٢٠٠٥
- ٤٠- دانا ادم شميدت ، رحلة بين رجال شجاعان بوسطن - ١٩٦٤
- ٤١ - ويلسون ناثانيل هاول ، الكورد والاتحاد السوفيئي ، ترجمة ضياء الدين المرعب ،
مطبعة ايلاف ٢٠٠٦
- ٤٢ - نورمان باوندرز ، وروبرت كنغسبري ، اطلس شؤون الشرق الاوسط نيوروك
بريغير ١٩٦٤
- ٤٣ - كوردستان موسوعة المعارف البريطانية ١٩٦٤ الجزء ١٣ .
- ٤٤- الشيخ أ . وحيد ، الكورد وبلدهم تاريخ الشعب الكوردي من اقدم العصور الى
الوقت الحاضر
- ٤٥- وليم ويسترمان ، اقوام الشرق الادنى بدون مستقبل قومي للكورد ١٩٤٢
- ٤٦- ريشارد جي ام فولد ، رحلة في الشرق الاوسط ، لندن - ١٩٤٧
- ٤٧- جيمس تاشجيان البعثة العسكرية لدى ارمينيا القسم التاسع استعراض ارمين
- ٤٨- نور الدين زازا حياتي الكوردية أو صرفة الشعب الكوردي ، ترجمه روني محمد
وملي ، اربيل مطبعة التربيه (٢٠٠) بغداد_ ١٩٦٨
- ٤٩- انطوان مورنكات ، تاريخ الشرق الأدنى القديم
- ٥٠- براستد ، جيمس هنري ، تاريخ العصور القديمة
- ٥١- راجع بحث و.ر. انج ، الاديان في العالم ، الفصل الرابع ، والسبعون
- ٥٢- دار المعارف البريطانية - مادة الميثرائية
- ٥٣- ابو بكر النبطي ، إيران قديم
- ٥٤- د. وهيبه شوكت محمد ، مسرحية كورش ، وأستياغ ، مجلة الحوار العددان ٢٦
٢٧-
- ٥٥- محمد عبد الرقيب يوسف ، حدود كوردستان الجنوبية تاريخياً ، وجغرافياً
- ٥٦- د. محمود عبد الحميد ، كتاب سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ .